في صحبة الخلفاء الراشدين

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

إبراهيم النعمة

في صحبة الخلفاء الراشدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الى مَنْ عاش حياته مع القرآن ليله ونهاره، مفسّراً آياته، ومتدبراً إيماءاته وإشاراته، ومتأملاً في مفرداته.

الى حامل لواء الحجة بالقرآن والسنة في الموصل العربية المسلمة.

الى من آتاه الله بصيرة مبصرة في فهم الإسلام: عقيدةً وفقهاً وأصولاً وسائر العلوم النقلية والعقلية.

الى من أحب الخلفاء الراشدين، وردّ على شبهات الطاعنين بهم.

الى الذي أحبّه أهل الموصل وعلماؤها من صميم قلوبهم لأخلاقه العالية، وسجاياه الناصعة، وتواضعه الجم، وعلمه الغزير.

الى روح أخي الداعية الشجاع الشيخ ذي النون يونس محمد البدراني، أمطر الله قبره بشآبيب رحمته.

أهدي هذا الكتاب

مقدمة

نحمدك اللهم ونستهديك، ونستعين بك ونتوكل عليك، ونصلي ونسلم على من ختمتَ به الشرائع وارسلته رحمة للعالمين، سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله الطيبين، وصحبه الذين اصطفيتهم من خلقك، وائتمنتهم على تبليغ شرعك الشريف الى الناس كافة! اللهم صلِّ على محمد وآته الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، إنك لا تخلف الميعاد.!

أما بعد:

فقد أقام النبي ﷺ قواعد دولة الإسلام بتوجيه من الله عز وجل. وتكامل بناء هذه القواعد قبل أن ينتقل النبي ﷺ الى جوار ربه. وشهد الله تعالى لهذا الدين بالكمال فقال سبحانه:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ المائدة: ٣.

ولما مات النبي الكريم في السنة الحادية عشرة من الهجرة، تولى أمر تدبير الحكم خير خلق الله من صحابته الأبرار الأطهار: فقاموا بتدبير شؤون دولة الإسلام، وحملوا المسؤولية، وقاموا بها على خير ما يرام.! إنهم الخلفاء الراشدون أئمة الهدى، الذين رباهم النبي ﷺ على عينه، وأعدّهم ذلك الإعداد الروحي والجسدي، ليتولوا تسيير أمور دولة الإسلام من بعده، ونشر دين الله في الآفاق، فاهتدوا بهديه، وساروا سيرته، ونهجوا نهجه، وخَلَفُوه في تبليغ شريعة الله الى الناس، وساسوا الأمة بالعدل، وأعطوا كل ذي حق حقه، ونجحوا في مهمتهم أفضل نجاح. ولذلك نستطيع أن نقول من غير تردد: إن الدنيا لم تعرف خلفاء أفضل من الخلفاء الراشدين، ولا جيلاً أفضل من جيلهم، ولا عهداً أفضل من عهدهم، ولا

مجتمعاً أفضل من مجتمعهم، فقد تجلّت فيه العقيدة الصحيحة، والجهاد وحب التضحية في سبيل الله، كما تجلّت فيه الرحمة في صورة من أجمل صورها.! ولا عجب، فقد كان عصرهم امتداداً لعصر النبي ﷺ: فهو أفضل العصور بعد عصره ﷺ؛ ذلك لأن كثيراً من كبار الصحابة عاشوا مع خلفائهم متعاونين معهم في إدارة شؤون الحكم، وكما وقفوا مع النبي ﷺ في نصرة الإسلام ونشر شريعته وفضائله في العالم، فقد وقفوا- ايضاً- مع خلفائهم، يمدون لهم يد العون في كل ما ينفع الأمة، فأقاموا الحكم الإسلامي الرشيد على الشورى الفردية والجماعية، وساسوا الأمة بالعدل وكان سمة من سمات حكمهم.

لقد كان الخلفاء الراشدون الأربعة عظماء بكل ما تحمله الكلمة من معنى العظمة: فتحوا الأبواب فسيحة مشرعة أمام الكلمة المخلصة الصادقة، فلم يضعوا العوائق والحواجز أمام من يريد النطق بها، وأقاموا العدل في البلاد حتى مع الذين لا يدينون بدينهم، وانصفوا المظلومين، وحاسبوا الولاة والقادة والأمراء، وانتصفوا منهم اذا قصّروا في حق رعاياهم، أما أخلاقهم فكانت مضرب الأمثال في التواضع والزهد بزينة الحياة الدنيا. وبحسن سلوكهم ومكارم سجاياهم ملكوا قلوب الناس، فانغرس حبهم في النفوس، وإن القارئ لتأريخهم، يقف مشدوهاً أمام هذه العظمة من الرجال: فقد انفتحت أبواب الدنيا أمامهم، فلم يأسرهم ذلك الثراء وتلك الأموال التي حصلوا عليها في الفتوحات من فارس والروم: فلم تتغير طبيعة عيشهم، ولم ينغمسوا بحياة الرفاهية والترف كما انغمس غيرهم من الأمم، بل عاشوا عيش الزهاد، مقتفين أثر النبي ﷺ في حياته، وقد وضعوا نصب أعينهم قول الله عز وجل:

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ القصص: ٨٣.

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ النساء: ٧٧.

لذلك لم يستخلف الواحد منهم ولده او فرداً من أفراد أسرته، وكانوا يوصون أبناءهم

وأسرهم بالابتعاد عن قبول الإمارة والمسؤوليات، وتلك لعمري علامة واضحة من علامات اخلاصهم لله، وابتعادهم عن مباهج الدنيا ومغرياتها، لذلك بارك الله في نجاح حكمهم: ففتحت فيها الأقطار والامصار، ودخل كثير من الناس في دين الله.

ولقد كان من أسباب نجاحهم- فوق ما ذكرنا- صحبتهم لرسول الله ﷺ: فشاهدوا سياساته مع القبائل والأفراد في السلم والحرب والمعاهدات، وعايشوه عليه السلام وهو يولِّي قسماً من صحابته الولايات، ويحاسبهم، ويبعث البعوث والوفود، ويقوم بسياسة الأمة كلها. إن هذا وغيره كان من أسباب إكتسابهم خبرة ليست بالقليلة في حسن سياسة الدولة. لقد كان حكمهم يختلف عن حكم الملوك..!

ولما كانت سيرة الخلفاء الراشدين قد تجنى عليها مَنْ تجنى بافتراء الأكاذيب، فقد صار واجباً على المسلم الذي درس حياة هذه الصفوة من الناس من مصادرها النقية، الصافية من أوضار ما دسّه المفترون على تاريخنا، أن يساهم بإظهار الصورة الحقيقية للخلفاء الراشدين، خشية أن يقع شبابنا في شَرَك الأكاذيب التي دُسَّتْ على الخلفاء، ذلك لأن الذين شوّهوا تاريخ الخلفاء الراشدين، كانوا قد اعتمدوا روايات غير محققة سنداً ومتناً: فإذا وضعنا هذه الروايات أمام علم الجرح والتعديل الذي وضعه علماء الحديث، نرى أن تلك الروايات لا يصح منها شيء. وقد اعتذر ابو جعفر الطبري في تاريخه عن الأخبار الضعيفة والموضوعة التي وجدت في كتابه، مبيناً أن تلك الروايات جاءت من قبل ناقليها فقال:

(فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين، مما يستنكره قارئه، او يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يَعرفْ له وجهاً في الصحة، ولامعنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤتَ في ذلك مِن قِبَلنا، وإنما أُتي من قبل بعض ناقليه إلينا، وأنَّا إنما أدينا ذلك على نحو ما أُدّي الينا)[1].

(١) تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري ١/٨، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، الطبعة السادسة، دار المعارف.

إنَّ هذا البحث المتواضع الذي سميته (في صحبة الخلفاء الراشدين) إن هو إلا زاد علمي للشباب خاصة، لأن مَنْ كان في مقتبل العُمر، وأراد أن يدرس حياة الخلفاء الراشدين، يجد أمامه كمّاً هائلاً من الروايات الصحيحة والضعيفة والموضوعة التي ملئت بها كتب التاريخ، ولا يستطيع- في الغالب- أن يميز صحيحها من سقيمها، وقويها من ضعيفها، وذلك لتضاربها واختلاف بعضها عن بعض.

لقد كتبت هذه الصفحات القليلة في الخلفاء الراشدين، لعلها تُزيل الغشاوة عن عيون الذين خُدعوا بأحابيل المستشرقين وتلامذتهم وكل مَنْ نهج نهجهم قديماً او حديثاً، من الذين امتلأت قلوبهم حقداً وكراهية لهذا الدين، فشوّهوا سيرتهم بالإفتراء عليهم والأكاذيب والمغالطات، فطمسوا فضائلهم عن عمد..! لعل شبابنا يدرك أساليب هؤلاء في تشويه الحقائق واختلاق الأكاذيب على الأماجد، الذين هيهات أن يجود الزمان بمثلهم.!

وأخيراً: فإني أستغفر الله وأتوب اليه من كل زلة وخطأ إذا كنت وقعت فيه، وأتضرع اليه تعالى أن يجعل أقوالي وأفعالي خالصة لوجهه الكريم، وأدعو كما دعا الله ابن الجوزي فقال (الهي لا تُعذِّب لساناً يُخبِرُ عنك، ولا عيناً تنظر الى علوم تَدُلُّ عليك، ولا قدماً تمشي الى خدمتك، ولا يداً تكتبُ حديث رسولك، فبعزتك لا تُدْخلني النار، وقد علم أهلها أني كنت أذُبُّ عن دينك)[1] اللهم آمين.!

(١) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد تأليف: برهان الدين ابراهيم بن محمد بن مفلح ٢/ ٩٦، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الطبعة الأولى ١٤١٠- ١٩٩٠، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.

خليفة رسول الله

ابو بكر الصديق

خليفة رسول الله
أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

هو عبد الله بن ابي قحافة واسم ابي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي، هكذا سمّاه النبي ﷺ، بأنه (عتيق من النار)، فغلب عليه اسم (العتيق)، ووصفه (بالصدّيق) بعد حادثة الإسراء والمعراج: فقد صدّقه حين كذّبه المشركون، وكُنّي بأبي بكر، وقال ابو محجن الثقفي فيه:

وسمِّيت صدّيقاً وكلُّ مهاجر
سواك يسمى باسمه غير منكر
سَبَقتَ الى الإسلام والله شاهدٌ
وكُنتَ جليساً في العريش المُشهَّر

ولد أبو بكر بمكة بعد حادثة الفيل بسنتين وأشهر: فهو أصغر من النبي ﷺ بسنتين وأشهر. أما نسبه، فيلتقي مع نسب النبي ﷺ في مرة بن كعب: فكان بينه وبين النبي ستة آباء. ولقد عرفه الناس في الجاهلية بالأخلاق الحميدة، والإمتناع عن شرب الخمر، وعلمه بأنساب العرب.

وصحب النبي ﷺ قبل البعثة. ولّما أرسل الله محمداً ﷺ بهذا الدين كان أَوَّلَ مَنْ أسلم من الرجال.

أما عمله في الجاهلية، فقد كان تاجراً من تجار الثياب، وحين أسلم كان رأس ماله قد بلغ

أربعين الف درهم أنفقها على دعوة الإسلام، ولم يبق منها حين هاجر الى المدينة مع النبي إلّا خمسة آلاف درهم أخذها معه، وجعلها تحت تصرف النبي ﷺ[1].

وهو صاحب رسول الله، ووزيره، ورفيقه في الهجرة، وثانيه في الغار، وأحَدُ العشرة المبشرين بالجنة، وأول الخلفاء الراشدين، وصهر رسول الله ﷺ، وأحبُّ الرجال اليه، حارب المرتدين وانتصر عليهم، وكان ملازماً للنبي ﷺ: فلم يفارقه في حضر ولا في سفر.

ولقد عُرف الصديق بالحلم والشجاعة والعلم والثقة بالله، والصدق، والزهد، وحب التضحية، والتواضع، وعلو الهمة، والصبر...، وتحمَّلَ من الشدائد أقساها، ومن المواقف الصعبة أشدَّها بسبب إيمانه بالإسلام، ونصرته للنبي ﷺ، وقد أسلم على يديه خمسة من المبشرين بالجنة، وكان لكل واحد منهم شأن مهم في خدمة الإسلام وهم:

١ – عثمان بن عفان.

٢ – عبد الرحمن بن عوف.

٣ – سعد بن أبي وقاص.

٤ – طلحة بن عبيد الله.

٥ – الزبير بن العوام.

٦ – وأعتق سبعة أعبد ممن كان يعذب على أيدي المشركين في مكة وهم: بلال بن رباح، وعامر بن فهيرة، وزِنيرة، والنهدية وابنتها، وجارية بني عبد المؤمّل، وأم عبيس[2] وقد رافق رسول الله ﷺ في هجرته المباركة الى المدينة المنورة، وأنزل الله في النبي وفيه قوله تعالى:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ٤/ ١٧١ – ١٧٢ بتحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ٤/ ١٧٢.

عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ التوبة: ٤٠.

يقول احمد بن حجر الهيتمي: (فشهدت له الربوبية بالصحبة، وبَشَّره بالسكينة، وحلّاه بثاني اثنين، كما قال علي كرّم الله وجهه: من يكون أفضل من اثنين الله ثالثهما؟)[1].

وشهد أبو بكر مع النبي غزواته كلها. وفي اليوم الذي توفي فيه النبي ﷺ بويع بالخلافة، وكان ذلك سنة إحدى عشرة من الهجرة. وقد حدثت في خلافته قضايا مهمة منها: جمعُ القُرآن الكريم، وقتال المرتدين والنصر عليهم، وفتح بلاد الشام..

وتوفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المدينة وعمره ثلاث وستون سنة، وهو العمر الذي توفي فيه النبي ﷺ، وكان ذلك في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة، ودُفنَ بجوار النبي ﷺ. وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام.

أما فضائله، فهي كثيرة لا تعد، وقد جمع شيئاً منها ابو القاسم علي بن بلبان المقدسي في كتابه (تحفة الصديق في فضائل أبي بكر الصديق)[2]، وفيه أربعون فضيلة من فضائله.

وتحدث الإمام النووي عن أبي بكر الصديق فقال: (.. وكانت له في الإسلام مواقف رفيعة، منها: قصته يوم الإسراء وثباته، وجوابه للكفار في ذلك، وهجرته مع رسول الله ﷺ وترك عياله وأطفاله، وملازمته في الغار وسائر الطريق، ثم كلامه يوم بدر، ويوم الحديبية، حتى اشتبه الأمر على غيره في تأخر دخول مكة، ثم بكاؤه حين قال رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن عبداً خيّره الله بين الدنيا وبين ما عند الله، ثم ثباته في وفاة رسول الله ﷺ، وخطبته الناس وتسكينهم، ثم قيامه في قصة البيعة بمصلحة المسلمين، ثم اهتمامه وثباته في بعث جيش اسامة بن زيد الى الشام وتصميمه في ذلك، ثم قيامه في قتال أهل الردة، ومناظرته للصحابة

(١) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة تأليف ابن حجر الهيتمي ص٣٧٢ تحت عنوان (باب: في التخيير والخلافة).

(٢) طبع الكتاب بتحقيق وتعليق: محي الدين مستو بدار ابن كثير، ودار التراث سنة ١٤٠٨هـ.

حتى حجهم بالدلائل، وشرح الله صدورهم لما شرح الله صدره من الحق: وهو قتال أهل الردة، ثم تجهيز الجيوش الى الشام لفتوحه، وامدادهم بالامداد، ثم ختم ذلك بمهم من أحسن مناقبه وأجل فضائله: وهو استخلافه على المسلمين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتفرسه فيه، ووصيته له، واستيداعه الأمة، فخلفه الله عز وجل فيهم أحسن الخلافة، وظهر لعمر الذي هو حسنة من حسناته، وواحدة من فعلاته تمهيد الإسلام، وإعزاز الدين، وتصديق وعد الله تعالى بأنه يظهره على الدين كله. وكم للصديق من مواقف وأثر؟! ومن يحصي مناقبه ويحيط بفضائله غير الله عز وجل...)[1].

أول الصحابة إسلاماً

تعددت أقوال الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم في أول من أسلم على يدي رسول الله ﷺ على أقوال: فقيل أبو بكر، وقيل علي بن أبي طالب، وقيل زيد بن حارثة، وقيل خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ، والراجح أن أبا بكر هو أول من أسلم من الرجال الأحرار. وقد روى عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (رأيت رسول الله ﷺ، وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر)[2].

ويدل على هذا ايضاً قصة إسلام عمرو بن عبسة، فقد سأل النبي ﷺ بعد أن عرض عليه الإسلام قائلاً له: (.. فمن معك على هذا؟ قال: [حر وعبد]، قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به)[3].

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي ٢/ ١٨١- ١٨٢، إدارة الطباعة المنيرية.

(٢) رواه البخاري من فضائل أصحاب النبي ﷺ، حديث ٣٦٦٠. صحيح البخاري، ص٨٢٩.

(٣) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها (باب: إسلام عمرو بن عبسة) حديث ٢٩٤/ ٨٣٢. صحيح مسلم ١/ ٥٦٩.

وسئل الشعبي: من أول من أسلم؟ فقال: أما سمعت قول حسان:

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة
فاذكرْ أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها
بعد النبي وأوفاها بما حملا
الثاني التالي المحمود مشهده
وأول الناس منهم صدّق الرسلا[1]

وقال ابن الصلاح: (والأورع أن يقال: أول من أسلم من الرجال الأحرار: أبو بكر، ومن الصبيان: علي، ومن النساء خديجة، ومن الموالي زيد، ومن العبيد بلال)[2].

من فضائل أبي بكر الصديق

وردت أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ في فضل سيدنا أبي بكر، وأجمع الصحابة على فضله وإمامته. ويكفيه أنه كان أحب الرجال الى النبي ﷺ. فقد سأل عمرو بن العاص رضي الله عنه رسول الله ﷺ قائلاً: أي الناس أحب اليك؟قال: (عائشة). فقلت: من الرجال؟ فقال:

(١) المستدرك للحاكم حديث ٤٤١٤/ ١٢. المستدرك للحاكم ٣/ ٦٧، دار الكتب العلمية، بيروت، وشرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، وضعه وضبط الديوان وصححه: عبد الرحمن البرقوقي ص٢٩٩- ٣٠٠، المكتبة التجارية، القاهرة.

(٢) المنهل الروي في مختصر علوم الحديث لبدر الدين محمد بن ابراهيم بن جماعة ص١١٢، تحقيق: الدكتور: محي الدين عبد الرحمن رمضان، الطبعة الثانية ١٤٠٦- ١٩٨٦، دار الفكر، بيروت.

(أبوها). قلت: ثم مَنْ؟ قال: (ثم عمر بن الخطاب)[1].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ: [لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر، ولكنْ أخي وصاحبي][2].

وعن انس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ان النبي ﷺ صعد أُحُداً وابوبكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فرجف بهم، فقال: [أثبت أحد، فإنما عليك نبي وصدّيق وشهيدان][3].

وواضح من هذا الحديث: أن النبي ﷺ هو الذي سمى أبا بكر بالصديق، وهذا ما كان يقوله سيدنا علي في خلافته مراراً.

وقال صلوات الله وسلامه عليه: [اقتدوا باللذين من بعدي من أصحابي: أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وتمسكوا بعهد ابن مسعود][4].

وعن ابي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: [مَنْ أصبح منكم اليوم صائماً؟] قال أبو بكر: انا قال [فمن تبع منكم اليوم جنازة؟] قال أبو بكر: انا. قال: [فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟] قال أبو بكر: انا. قال: [فمن عاد اليوم مريضاً؟] قال أبو بكر: انا. فقال رسول الله ﷺ: [ما اجتمعن في امرئ إلّا دخل الجنة][5].

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ حديث ٣٦٦٢، صحيح البخاري ص٩٢٩.

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ حديث ٣٦٥٦، صحيح البخاري ص٩٢٨ ونجد النبي الكريم هنا لم يتخذ خليلاً له؛ لأن الخليل: هو من تمكنت مودته في القلب. أما النبي ﷺ، فقد جعل محبته القلبية لله تعالى وحده؛ لاشتغال قلبه عليه السلام بمحبة الله.

(٣) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ رقم ٣٦٧٥ صحيح البخاري ص٩٣٢ وفي الحديث إثبات لصديقية أبي بكر،والشهادة لعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ: محمد ناصر الدين الألباني ٣/ ٢٣٣، حديث ١٢٣٣، مكتبة المعارف، الرياض.

(٥) رواه مسلم في كتاب الزكاة (باب: من جمع الصدقة وأعمال البر)، حديث ١٠٢٨، صحيح مسلم ٢/ ٧١٣.

ولقد كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سريع الإستجابة لدعوة النبي ﷺ حين دعاه الى الإسلام.

روى ابن هشام عن النبي ﷺ أنه قال: [ما دعوت أحداً قط الى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة ونظر وتردد، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة، ما عكم (ما تلبث) عنه حين ذكرته له، وما تردد فيه] (١).

ولقد أشار القرآن الى عدد من مواقفه، منها قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ ﴾(٢) الليل: ٥ – ٧.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠﴾ فصلت: ٣٠ .

وقوله: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾التوبة: ٤٠. وغير ذلك من الآيات.

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كان أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا الى رسول الله ﷺ) (٣).

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (أسلم أبو بكر يوم أسلم وفي منزله أربعون الف درهم، فخرج الى المدينة من مكة في الهجرة وما له غير خمسة آلاف: كل ذلك ينفق في الرقاب والعون على الإسلام)(٤).

ويروي عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أمرنا رسول الله ﷺ يوماً أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٨٨، بتحقيق: السقا والأبياري وشلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) أسباب النزول للواحدي ص٣٦١ بتحقيق: ايمن صالح شعبان، دار الحديث، القاهرة.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ٣/ ٦٩، حديث ٤٤٢١.

(٤) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٣٠/ ٦٨ بتحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروني ١٤١٥– ١٩٩٥، دار الفكر، بيروت.

عندي فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: [ما أبقيت لأهلك؟] فقلت: مثله. قال وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: [ما أبقيت لأهلك؟] قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: (لا أسابقك الى شيء أبداً)[1].

وعن محمد بن الحنفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين[2]).

وهذه شهادة من سيدنا علي تنص على أن ابا بكر الصديق كان خير الناس بعد رسول الله ﷺ، وان عمر يأتي في الخيرية بعد أبي بكر.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (كنّا نخيّر بين الناس في زمن النبي ﷺ: فنخيّر أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان) [3].

وقال ابن كثير: وقد ثبت عنه- أي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- بالتواتر أنه قال على منبر الكوفة: (أيها الناس، إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر..) [4].

وقال السخاوي: (وأسند البيهقي في الإعتقاد له عن الشافعي أنه قال: ما اختلف أحد من الصحابة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهما على جميع الصحابة، وكذا جاء عن يحيى بن سعيد الأنصاري أنه قال: مَنْ أدركتُ من الصحابة والتابعين لم يختلفوا في أبي بكر وعمر وفضلهما. وقال مالك- رحمه الله- : أوفي ذلك شك؟!) [5].

---

(١) رواه ابو داؤد بإسناد حسن، رقم ١٦٧٨، والترمذي برقم ٣٦٧٥، وغيرهما.

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٧١، صحيح البخاري ٩٣٠- ٩٣١.

(٣) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، حديث ٣٦٥٥، صحيح البخاري ص٩٢٨.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٣٢١، الطبعة الثانية ١٤٢٦- ٢٠٠٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٥) فتح المغيث للسخاوي٤/ ١١٤ بتحقيق: الشيخ علي حسين علي، الطبعة الأولى لمكتبة السنة بالقاهرة ١٤٢٤- ٢٠٠٣.

تواضعهُ

اذا كان من الناس مَنْ اذا أسندت اليه مسؤولية مهمة من المسؤوليات طغى وتجبر، وتكبّر على عباد الله، وترفع على الناس، وصار لا يكلمهم إلا بأنف شامخ او من وراء حجاب، فإن ابا بكر يوم اسندت إليه الخلافة ضرب أروع الأمثلة في التواضع، وهيهات أن نجد شبيهاً له في تواضعه في تاريخ العالم قديمه وحديثه. ذكر ابن سعد وغيره باسنادهم: (أنه كان يحلب لأهل الحي منائجهم، فلما استخلف قالت جارية من الحي: الآن لا يحلب لنا، فقال: بلى لأحلبنها لكم، وإني أرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن خُلُق كنتُ عليه، فكان بعد الخلافة يحلب لهم) [1].

ولقد كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حريصاً على أن يقضي حاجته بنفسه، فلا يكلف بها أي إنسان كان إذا كان يستطيع أن يقوم بها بنفسه. فعن ابن ابي مليكة قال: (كان ربما سقط الخطام من يد أبي بكر الصديق، قال: فيضرب بذراع ناقته فينيخها فيأخذه. قال: فقالوا له: أفلا أمرتنا نناولكه؟ قال: إن حبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرني أن لا أسأل الناس شيئاً) [2].

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا مُدِحَ قال: (اللهم أنت أعلم مني بنفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيراً مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون) [3].

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي ٢/ ٥٦ بتعليق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤٢٨- ٢٠٠٧، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) صفة الصفوة لأبن الجوزي ١/ ١٣٢، ضبطها وكتب هوامشها: ابراهيم رمضان وسعيد اللحام، الطبعة الرابعة ١٤٢٧- ٢٠٠٦، دار الكتب العلمية، بيروت. والحديث رواه الامام احمد.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٨٢، الطبعة الثانية ١٤٢٦- ٢٠٠٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

شجاعتُه

خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: (أيها الناس، من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين، فقال: أما إني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكن هو أبو بكر: إنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً فقلنا: من يكون مع رسول الله ﷺ، لئلا يهوي اليه أحد من المشركين، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر، شاهراً بالسيف على رسول الله ﷺ، لا يهوي اليه أحد إلا أهوى اليه، فهذا أشجع الناس. قال: ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش، فهذا يحاده، وهذا يتلتله ويقولون: أنت جعلت الآلهة إلهاً واحداً؟ فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويجاهد هذا، ويتلتل هذا وهو يقول: ويلكم! أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟! ثم رفع علي بردة كانت عليه؛ فبكى حتى اخضلّت لحيته، ثم قال: أنشدكم الله: أمؤمن آل فرعون خير أم هو؟ فسكت القوم، فقال علي: فوالله، لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه) [1].

بين أبي بكر وولده عبد الرحمن

تغلغل الإيمان العميق بالله ورسوله وتمكن في قلب أبي بكر، وقطعت آصرة الإيمان عنده كل آصرة أخرى، سواء كانت آصرة الصداقة او القرابة او النسب، وحتى آصرة الأبوة والبنوة لا مكان لها عنده اذا كان صاحبها قد آثر الكفر على الإيمان وحادّ الله ورسوله وحارب هذا الدين، وكأن قلبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد نُقِشَ فيه قول الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٢٨٤- ٢٨٥.

بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ المجادلة: ٢٢.

وكمثال على ذلك ما كان من أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في غزوة بدر: فقد انطلق يقاتل أعداء الله بكل شجاعة وبسالة لا يلوي على شيء، ولا يقف أمامه أحد ولو كان أقرب المقربين إليه. وشاء الله أن يكون عبد الرحمن بن أبي بكر مع المشركين يوم بدر. وتمرّ الأيام والشهور، ويقذف الله الإيمان في قلبه، فيقول عبد الرحمن لأبيه أبي بكر: لقد أهدفت لي يوم بدر (أي صرت هدفاً لي أستطيع أن أقتلك) فانصرفت عنك ولم أقتلك، فقال أبو بكر: لكنك لو أهدفت لي لم أنصرف عنك[1].

صحبة أبي بكر للنبي في هجرته

ثبتت صحبة أبي بكر الصديق للنبي ﷺ في هجرته الى المدينة المنورة بآية صريحة في القرآن وبأحاديث كثيرة، قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ التوبة: ٤٠.

والمعية في هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ تعني معيته عز وجل للنبي وصاحبه أبي بكر كليهما. وقد اختص أبو بكر بهذه المعية بنص القرآن، ولم يشركه فيها أحد من الناس. وقال النبي ﷺ مخاطباً أبا بكر الصديق: (أنت صاحبي على الحوض، وصاحبي في الغار) [2].

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢٨.

(٢) رواه الترمذي في كتاب المناقب (باب: مناقب أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رقم ٣٦٧٠، وقال: هذا حديث=

ولّما دخل أبو بكر والنبي الغار، وأقبل المشركون يريدون الظفر بهما، واقتربوا من الغار حتى وقفوا عليه، وخاف أبو بكر على النبي فقال: لو أن أحدهم نظر الى قدميه لأبصرنا، فأجابه النبي ﷺ بقوله: [يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما] (١).

ولقد استفاضت، بل تواترت صحبة أبي بكر للنبي ﷺ في هجرته، حتى قال جار الله الزمخشري: (... وقد قالوا من أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر، لإنكاره كلام الله، وليس ذلك لسائر الصحابة) (٢).

وليس هذا رأي الزمخشري وحده، بل هو رأي الفقهاء كلهم، فقد اتفقوا على تكفير من أنكر صحبة أبي بكر لرسول الله ﷺ، لما فيه من تكذيب لقوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾(٣) التوبة: ٤٠.

أما السيوطي، فقد نقل قول المالكية: (من أنكر صحبة أبي بكر كفر وقتل، بخلاف غيره من الصحابة، لنص القرآن على صحبته) (٤).

=حسن غريب. سنن الترمذي ص٨٣٣.
عُني به: مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة الثانية، دار المعارف، الرياض.

(١) رواه الإمام احمد في مسنده حديث ١١، المسند ١/ ١٧٠، والبخاري في فضائل أصحاب النبي (باب: فضائل أصحاب النبي)، حديث ٣٦٥٣، صحيح البخاري ص٩٢٧، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة (باب: من فضائل أبي بكر) حديث ٢٣٨١.

(٢) تفسير الكشاف للزمخشري ٢/ ٤٠، مطبعة الحلبي ١٣٦٧- ١٩٤٨.

(٣) الموسوعة الفقهية ٢٦/ ٣١٥، الطبعة الأولى ١٤١٢- ١٩٩٢، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.

(٤) الأكليل في استنباط التنزيل للسيوطي ص١١٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

كيف توجهت الخلافة لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

بعد أن التحق النبي ﷺ بجوار ربه، اجتمع الأنصار في (سقيفة بني ساعدة) [1] ليختاروا خليفة للمسلمين. وسمع المهاجرون بذلك فأسرعوا الخطا إليهم، وفيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة، وتشاور الأنصار والمهاجرون في الأمر وتناظروا فقال الأنصار: منا أمير ومنكم أمير.. وتكلم أبو بكر فأثنى على الأنصار خيراً، وبين لهم أن الأئمة من قريش، كما ذكر ذلك النبي ﷺ، وأن العرب لا تدين لغير هذا الحي، وقال لهم – فيما قال- : نحن الأمراء وأنتم الوزراء، وأن الله سمانا الصادقين، وسماكم المفلحين[2] وأمركم أن تكونوا معنا حيث كنا فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ التوبة: ١١٩.

وسمع الأنصار هذا، فبايعوا أبا بكر، وخرج المهاجرون والأنصار من سقيفة بني ساعدة وهم متآلفون متحابون، وظل الأنصار على نصرتهم لهذا الدين كما كانوا في عهد النبي ﷺ.

ولابد لنا أن نذكر هنا أن نفس أبي بكر لم تتطلع للخلافة سراً ولا علانية: فقد كان زاهداً بها، بل كارهاً لتوليها، لأنه كان يعلم عظم مسؤوليتها أمام الله، ويخشى من التقصير في توليها. وتبدو هذه الحقيقة واضحة في قوله مراراً: (والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة قط، ولا كنت فيها راغباً، ولا سألتها الله عز وجل في سرٍ وعلانية، ولكني أشفقت

---

(١) بنو ساعدة: بطن من الخزرج، وكانت لهم (سقيفة) في المدينة يجتمع فيها الأنصار، للتشاور في الأمور التي تهمهم، وهي تشبه دار الندوة في مكة.

(٢) اشارة الى قول الله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ الحشر: ٨ – ٩.

من الفتنة، وما لي في الإمارة من راحة، ولكن قُلِّدتُ أمراً عظيماً مالي به من طاقة، ولا يد إلا بتقوية الله عز وجل، ولوددتُ أنَّ أقوى الناس عليها مكاني اليوم) [1].

هذه هي مشاعر أبي بكر حين تولى الخلافة، فقد كان يعلم عظم مسؤوليتها، وما قَبِلَها إلا خوف الفتنة أن تقع بين المسلمين، وكم تمنى أن يتحملها أقوى الناس على حملها!.

البيعة الخاصة والبيعة العامة

كانت البيعة لأبي بكر في (سقيفة بني ساعدة)، وقد عُرفت بالبيعة الخاصة، وذلك في يوم الإثنين: الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة للهجرة، وأما البيعة العامة، فكانت في اليوم التالي لذلك اليوم، وهو يوم الثلاثاء. فقد خرج أبو بكر الى المسجد، وهناك بايعه المسلمون على السمع والطاعة لله ولكتابه وللأمير.

وبعد البيعة العامة ألقى أبو بكر خطبته في الناس قائلاً: (.. إني وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوّموني الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أُريح عليه حقه- إن شاء الله- والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه- إن شاء الله-. لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء. أطيعوني ما أطعتُ الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم)[2].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك في كتاب معرفة الصحابة ٣/ ٧٠، حديث ٤٤٢٢، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٥٣.

(٢) سيرة ابن هشام مع شرح أبي ذر الخشني ٤/ ٤١٤، تحقيق: الدكتور همام عبد الرحيم سعيد، ومحمد ابن عبد الله ابو صعيليك، الطبعة الأولى ١٤٠٩- ١٩٨٨، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن.
والمصنف لعبد الرزاق الصنعاني ١١/ ٣٣٦، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية ١٤٠٣- ١٩٨٣، المكتب الإسلامي، بيروت.

وتعدّ هذه الخطبة كالخطبة الأولى التي يلقيها الرؤساء والملوك والأمراء ورؤساء الحكومات يبينون فيها منهاجهم في الحكم الذي يسيرون عليه. واذا كان كثير من هؤلاء لا يطبقون ما وعدوا به شعوبهم، فإن أبا بكر طبّق كل ما تحدّث به في هذه الخطبة وفي غيرها من الخطب.

ويرى الناظر في هذه الخطبة التواضع في صورة من أجمل الصور، فقد كان القاصي والداني في مكة والمدينة والطائف.. يعرف المكانة العالية التي كان يتبوّأها أبو بكر في الجاهلية والإسلام، ومع ذلك، فقد بيّن للناس هنا: أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واحد منهم وليس بخيرهم، وهكذا يكون التواضع في عظماء الرجال.

والمتأمل في هذا البيان الأول لأبي بكر، يرى فيه أسس قواعد العدالة، وصلة الرحمة بين الحاكم والمحكوم، وأن طاعة وليّ الأمر ليست مطلقة، بل هي مشروطة بطاعة الله وطاعة رسوله، وان الجهاد في سبيل الله مبدأ إسلامي مهم في إعزاز الأمة. ونقول مرة أخرى: اذا كانت البيانات التي يطلقها كثير ممن رفع شعار الإنسانية وحقوق الإنسان والديمقراطية في عالم اليوم، لا تجد تطبيقاً عملياً لها في واقع الناس، فإن البيان الذي أعلنه أبو بكر طبق تطبيقاً عملياً في مدة حكمه كله وحكم الخلفاء الراشدين من بعده، بل وبحكم كثير من خلفاء المسلمين في شتى العصور.

بيعة عليّ لأبي بكر

كثرت الروايات وتضاربت بأسانيدها المختلفة في أمر مبايعة عليّ لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حتى عدَّ الطبري في تاريخه عشر روايات تختلف الواحدة منهن عن الأخرى، منها الصحيحة ومنها دون ذلك، ومنها روايات ضعيفة وموضوعة. وعند تعدد الروايات وتضاربها يصير من الواجب على الباحث أن يميّز بين صحيحها وفاسدها، وبين قويها وضعيفها، ويستطيع

الخبراء في علم الجرح والتعديل أن يميزوا بين تلك الروايات، وهناك رواية صحيحة، تنص نصاً صريحاً على مبايعة علي لأبي بكر، يرويها حبيب بن أبي ثابت فيقول: (كان علي في بيته إذ أُتي فقيل له: قد جلس أبو بكر للبيعة (أي للبيعة العامة في المسجد)، فخرج في قميص ما عليه إزار ولا رداء عجلاً، كراهية أن يبطئ عنها، حتى بايعه، ثم جلس إليه، وبعث الى ثوبه فأتاه فتجلله، ولزم مجلسه) (١).

وقال ابن كثير: (صعد أبو بكر المنبر، فنظر في وجوه القوم فلم يرَ الزبير. قال: فدعا الزبير فجاء قال: قلت: ابن عمة رسول الله ﷺ أردت أنْ تشق عصا المسلمين، قال: لا تثريب يا خليفة رسول الله، فقام فبايعه. ثم نظر في وجوه القوم، فلم يرَ علياً، فدعا بعلي بن أبي طالب. قال: قلت: ابن عم رسول الله ﷺ وختنه على ابنته، أردت أنْ تشق عصا المسلمين؟ قال: لا تثريب يا خليفة رسول الله فبايعه) (٢).

ومع ذلك، فقد أصاب سيدنا علياً شيء من الغضب، لأنه لم يستشرْ في أمر الخلافة، وقد بيّن سبب غضبه فقال: (وما غضبنا إلا لأنَّا أُخِرنا عن المشورة، وإنَّا نرى أبا بكر أحقَّ الناس بها، إنه لصاحب الغار، وإنّا لنعلم شرفه وخيره، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حي) (٣).

وذهب ابن كثير وابن حجر الى أنّ سيدنا علياً بايع مع الناس أولاً، ثم بايع مرةً أخرى بعد موت فاطمة؛ تأكيداً للبيعة الأولى.

ومنذ أن تمت البيعة لأبي بكر، وقف سيدنا علي متعاوناً معه كل التعاون، ومؤيداً

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٠٦، ومعنى (لزم مجلسه): أي ليستمع لخطبة أبي بكر.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٦/ ٢٩٩، وقد صحح ابن كثير هذه الرواية، فروى أن الحافظ النيسابوري قال: سمعت ابن خزيمة يقول: جاءني مسلم بن الحجاج فسألني عن هذا الحديث فكتبته له في رقعة وقرأتُ عليه؛ فقال: هذا حديث يساوي بَدَنة (أي ناقة او بقرة)؛ فقلت: يساوي بدنة، بل هذا يساوي بدرة (أي كيس فيه الف دينار او عشرة آلاف دينار من الذهب).

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٦/ ٢٩٩- ٣٠٠.

لسياسته في الفتوحات الإسلامية وسياسته العامة، ومشيراً عليه بما فيه الصواب، وكثيراً ما كان أمير المؤمنين أبو بكر يأخذ برأيه. وقد قال اليعقوبي في تاريخه: (أراد أبو بكر أن يغزو الروم، فشاور جماعة من أصحاب رسول الله، فقدّموا وأخّروا، فاستشار علي بن أبي طالب، فأشار أن يفعل فقال: إنْ فعلت ظفرت، فقال: بُشِّرتَ بخير! فقام أبو بكر في الناس خطيباً، وامرهم أن يتجهزوا الى الروم...)[1].

ولقد كان سيدنا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حريصاً على أن يظل أبو بكر خليفة للمسلمين، لا يمسّه شيء من الأذى، مصرحاً بأن بقاءه هو بقاء للإسلام: فقد أراد أبو بكر أن يخرج بنفسه لقتال المرتدين، ولمّا استوى على راحلته وتوجه الى ذي القصة [2]، أخذ علي بن أبي طالب بزمام ناقته وقال له: (الى أين يا خليفة رسول الله؟ أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أُحُد: [لمَّ سيفك ولا تفجعنا بنفسك، وارجع الى المدينة، فوالله لئن فُجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبداً] فرجع) [3].

ولم يقف الأمر عند حدّ التعاون بينهما، بل كان كل واحد منهما يحب الآخر من أعماقه. ويدل على هذا أن سيدنا علياً سمى أحد أبنائه باسم أبي بكر، حبّاً بالصدّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وخطب على منبر الكوفة فقال على رؤوس الأشهاد: (خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر ثم عمر) [4].

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يغضب اذا فضَّله أحد على أبي بكر وعمر، وكان مما قاله: (لا أُوتى بأحد فضّلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حدَّ المفتري) [5].

---

(١) تاريخ اليعقوبي لأحمد بن اسحاق اليعقوبي المتوفى بعد سنة ٢٩٢، ٢/ ٩٠، علق عليه ووضع حواشيه: خليل المنصور، الطبعة الثانية ١٤٢٣- ٢٠٠٢، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) تبعد عن المدينة المنورة مرحلة.

(٣) البداية والنهاية ٦/ ٣١١.

(٤) مختصر التحفة الأثني عشرية للدهلوي ص: و ، اختصرها محمود شكري الآلوسي، طبعة استانبول سنة ١٣٩٩- ١٩٧٩.

(٥) البداية والنهاية لابن كثير ١٠/ ٢٩٤.

شبهة عدم مبايعة سعد بن عبادة

سعد بن عبادة صحابي جليل، كان قد شهد بيعة العقبة الثانية فكان نقيباً، وله السيادة والوجاهة في الأنصار، وهو شهد بدراً، واستشاره النبي ﷺ مع سعد بن معاذ في غزوة الخندق في إعطاء ثلث ثمار المدينة الى قبيلة غطفان حتى ينصرفوا عن قتال المسلمين، فردَّ السعدان رداً يدلُّ على كمال التضحية فيهم: والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، وهو قبل ذلك وبعده من بيت جود وكرم، وقد شهد له النبي ﷺ بذلك [1]، وحمل راية النبي يوم فتح مكة، لكن النبي الرحيم خشي من شدّته على المشركين فنزعها منه وجعلها بيد ابنه قيس بن سعد.

ولقد كان أبو بكر على علم بالمكانة العالية التي يتبوأها سعد بن عبادة من المهاجرين والأنصار، فكان يحرص على أخذ رأيه في كثير من الأمور. وفي أخذ البيعة لأبي بكر ذَكَّرَ أبو بكر سعد بن عبادة بحديث رسول الله ﷺ فقال له: لقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد: [قريش ولاة هذا الأمر، فبرّ الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم] فقال سعد: (صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء، فتتابع القوم على البيعة وبايع سعد) [2].

وتحدثنا كتب التاريخ الصحيحة أن (ابن عمِّه- ابن عم سعد بن عبادة- بشير بن سعد الأنصاري أول من بايع الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في اجتماع السقيفة) [3].

---

(١) الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق، تأليف الدكتور علي محمد محمد الصلابي ص١٢٩، طبعة ابن كثير، الطبعة الثانية ١٤٢٦- ٢٠٠٥، دمشق- سوريا.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني ٣/ ١٤٦، حديث ١١٥٦، طبع سنة ١٤١٥- ١٩٩٥، مكتبة المعارف، الرياض.

(٣) أبو بكر الصديق للصلابي ص١٢٨.

وفي سقيفة بني ساعدة جلس سعد بن عبادة على طنفسة متكئاً على وسادة وعليه الحمى، وقد سأله أبو بكر: (ما ترى يا أبا ثابت؟ فقال: أنا رجل منكم[1]).

وروى ابن الجوزي أن سعد بن عبادة قام يوم السقيفة فبايع [2].

يتضح من هذه الروايات وغيرها ان سعد بن عبادة قد بايع أبا بكر، ولم يحدث شيء من الأزمات فيها. وهكذا حصل الإجماع على مبايعته، ولو لم يبايع سعد بن عبادة، لامتنع قومه عن المبايعة إكراماً لسيدهم. فلا يُلتفت الى الروايات التي تزعم أن سعداً خالف الإجماع في مبايعة أبي بكر، ذلك لأن مدار تلك الروايات المتهافتة على الكلبي الذي اتهم بالكذب، وعلى أبي مخنف الذي هو متروك الرواية. ثم إن الروايات التي تقول: إن سعداً خرج على إجماع الصحابة لا تتفق أبداً مع جهاده في سبيل الله وحرصه على نشر دعوة الإسلام في كل مكان، ولا تتفق -ايضاً- مع ثناء الله على صحابة النبي الذي كثر في القرآن الكريم -وسعد واحد منهم- وثناء النبي على الصحابة عامة وعلى سعد خاصة.

خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أجمع أهل السنة والجماعة بعد وفاة النبي ﷺ على اختيار أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خليفة له، فهو أول الخلفاء الراشدين. وقد اختلفوا في طريقة تنصيبه للخلافة: أكانت بالإشارة أم بالإختيار؟ فانقسموا على فريقين:

الفريق الأول:

ذهب الفريق الأول الى أن خلافة أبي بكر ثبتت بالإشارة، ودليلهم أحاديث صحيحة ثبتت عن النبي ﷺ، منها ما رواه جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: (أتت امرأة للنبي ﷺ فكلمته

(١) الشيخان للبلاذري ص١١٧، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، مؤسسة الشراع العربي، الكويت.

(٢) المنتظم لابن الجوزي ٣/ ١٦، الطبعة الأولى ١٣٥٨، دار صادر، بيروت.

في شيء، فأمرها أن ترجع اليه، قالت: يا رسول الله، أرأيت أن جئت ولم أجدْك؟- كأنها تريد الموت- قال: إن لم تجديني فأتي أبا بكر)[1].

وعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: [اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر][2].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال لي رسول الله ﷺ: [أدعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متمنٍ ويقول قائل: أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر][3].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: لمّا ثقل رسول الله ﷺ، جاء بلال يؤذنه بالصلاة؛ فقال: [مروا ابا بكر فليصلِّ بالناس][4].

الفريق الثاني:

ذهب الفريق الثاني الى أن الخلافة ثبتت لأبي بكر بالإختيار، وذلك حين اجتمع المسلمون من المهاجرين والأنصار في (سقيفة بني ساعدة)، واختاروه خليفة لهم وبايعوه على ذلك. وربما كان هذا الرأي هو الراجح، وإن كانت الإشارة قد فهمها قسم من الصحابة حين قدّم النبي ﷺ ابا بكر للصلاة بالمسلمين، وهمَّ بأن يكتب له بذلك. والنبي الكريم لم يستخلف أبا بكر ولا غيره، ولو استخلف النبي احداً لما اجتمع المسلمون في (سقيفة بني ساعدة)

(١) رواه البخاري في كتاب الأحكام (باب: الإستخلاف) حديث ٧٢٢٠، صحيح البخاري ص١٧٥٠، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة (باب: من فضائل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) حديث ٢٣٨٦، صحيح مسلم ٤/ ١٨٥٦- ١٨٥٧.

(٢) رواه الإمام احمد في مسنده ١٦/ ٥٦٧، حديث٢٣١٣٨، والترمذي في كتاب المناقب (باب: في مناقب أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)، حديث ٣٦٦٢، سنن الترمذي ص٨٣٢، وابن ماجه في المقدمة (باب: من فضائل أصحاب رسول الله ﷺ) حديث ٩٧، سنن ابن ماجه ١/ ٣٧.

(٣) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة (باب: من فضائل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) حديث ٢٣٨٧، صحيح مسلم ٤/ ١٨٥٧.

(٤) رواه البخاري في كتاب الأذان (باب: حد المريض أن يشهد الجماعة) وغيره من الأبواب، أحاديث ٦٦٤، ٦٧٨، ٦٨٢، ٧١٧، ٣٣٨٥، و٦٧٩ و٧٣٠٣.

ليختاروا خليفة لهم. وكل الأحاديث السابقة التي وردت هي إشارات وليست نصوصاً بالإستخلاف.

ونتأمل بهذه الأحاديث- مرة أخرى- فنراها لا تزيد عن الإشارة الى المنزلة العظيمة التي تبوّأها أبو بكر من رسول الله ﷺ مع ذكر مناقبه التي أهلته ليكون خليفةً للمسلمين: فهي كالارشاد الى المسلمين ليختاروا ابا بكر خليفة لرسول الله ﷺ، ولا تنصُّ نصاً صريحاً على إمامة أبي بكر؛ وذلك ليظل العمل بنظام الشورى قائماً في حياة المسلمين.

بين الإستخلاف وعدمه

لّما طُعِنَ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحضرته الوفاة قيل له: ألا تستخلف؟ فقال: (إن أستخلفْ، فقد استخلف مَنْ هو خير مني: أبو بكر، وإنْ أترك، فقد ترك منْ هو خير مني: رسول الله ﷺ)[1]. وقد فُسِّرَ الإستخلاف بقول عمر: بالاستخلاف المكتوب. ولو أن النبي ﷺ كتب عهداً لكتبه لأبي بكر. وقد مرَّ بنا أن النبي ﷺ أراد الكتابة لأبي بكر لكنه لم يكتب وقال: (يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر)[2].

أعمال عظيمة في وقت قصير

لم يمكث سيدنا أبو بكر في سدة الحكم غير ما يقرب من سنتين وثلاثة أشهر وعشرة ايام. وفي هذه المدة القصيرة من الزمن، استطاع أن يقوم بأعمال عظيمة لم يستطع غيره من القيام بأمثالها، تركت آثارها المهمة في مستقبل دولة الإسلام، ومن هذه الأعمال ما يأتي:

(١) رواه البخاري في كتاب الأحكام (باب: الاستخلاف) ص١٧٤٩، حديث ٧٢١٨.

(٢) رواه مسلم ٤/ ١٨٥٧.

١ – إنفاذ جيش اسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كان النبي ﷺ قد أعدَّ جيشاً، وأمَّرَ عليه اسامة بن زيد، وعقد له الراية، وأمره بانتظار ساعة الصفر، ليسير الى تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين. وضمَّ هذا الجيش كثيراً من المهاجرين الأولين، وعسكر الجيش خارج المدينة منتظراً أمر النبي ﷺ بالمسير. لكن الذي حدث: أن المرض قد اشتد على النبي ﷺ؛ لذلك ظل الجيش معسكراً في مكانه خارج المدينة. فلما انتقل النبي الكريم الى جوار ربه، وتولى الخلافة أبو بكر، كان أول ما قام به من عمل: إنفاذ جيش اسامة الى أرض الروم. وقد خرج أبو بكر مودِّعاً جيش اسامة ومعه كبار الصحابة، وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسير على قدميه واسامة راكباً! وخاطب اسامة ابا بكر بقوله: يا خليفة رسول الله، إما أن تركب وإما أن أنزل، فردَّ عليه قائلاً: والله لستَ بنازل، ولستُ براكب، وكان عبد الرحمن بن عوف يقود براحلة الصدّيق. وسار معه ساعة، ثم وقف خطيباً في الجيش فأوصاهم قائلاً:

(أيها الناس، قفوا اوصكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا، ولا تغلُّوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرّون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم في الصوامع فَدَعوهم وما فرّغوا انفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها الوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها، وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب، فاخفقوهم بالسيف خفقاً، اندفعوا باسم الله)[1].

(١) تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري ٣/ ٢٢٦– ٢٢٧، وينظر: الموطأ للإمام مالك ١/ ٥٧٧، بتحقيق الدكتور بشار عواد معروف، الطبعة الثانية ١٤١٧ – ١٩٩٧، دار الغرب الإسلامي بيروت. وهذه الوصايا تتجلى فيها الرحمة في صورة من أجمل صورها، وهي تمثل ما دعا اليه من أرسله الله رحمة=

وبعد هذه الوصايا القيّمة ودَّع أبو بكر الجيش، وقفل راجعاً الى المدينة، بعد أن استأذن أبو بكر من اسامة أن يُعينه بعمر بن الخطاب، فأذن له به، لذلك كان سيدنا عمر لا يلقى اسامة بعد ذلك إلا قال له: السلام عليك أيها الأمير[1]. وهذا يدل على الأدب الجم الذي كان عليه سيدنا عمر، وعلى انقياده لما دعا اليه رسول الله ﷺ! وذهب جيش اسامة برعاية الله، وقام بمهمته، ثم قفل عائداً الى المدينة.

وكل من درس الأحوال التي أنفذ فيها أبو بكر جيش أسامة مع معارضة قسم من الصحابة في أول الأمر، يرى أن خليفة رسول الله أبا بكر كان بعيد النظر في ذلك؛ لأن هناك من القبائل العربية من دخلت بالإسلام حديثاً ولم يتمكن الإيمان في قلوب قسم من أبنائها، ومنها من لم تدخل بعد في الإسلام. وفي هذه الأحوال لا يستبعد أن يبيت الشر للمسلمين، بعد أن علمت القبائل بوفاة النبي ﷺ، وكانت حركة الردة قبل وفاة النبي ﷺ قد أطلت برأسها، وكان لها أتباع..! فكان إرسال جيش اسامة يعد رسالة الى القبائل، تعلمها أن دولة الإسلام ما زالت قوية لم تضعف بوفاة النبي ﷺ، ودليل هذا: إرسال جيش اسامة الى الروم. وكان هذا سبباً في كفّ من كانت تسوّل له نفسه الإساءة لنفسه بالردة ولدولة الإسلام.

٢ - قضاء أبي بكر على المرتدين.

ظهرت حركة الردة عن الإسلام قبيل أن يلتحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى، فتنبأ مسيلمة بن حبيب الكذاب باليمامة... ولما مات النبي ﷺ وتسلم زمام الحكم أبو بكر ارتد عدد كثير من القبائل العربية عن الإسلام، وامتنعوا عن دفع الزكاة، محتجين بقوله تعالى:

=للعالمين، وما طبقه المسلمون خير تطبيق في حروبهم. فأين هذا مما قامت به (الحضارة الغربية) من وحشية تتنزه عنها حتى الوحوش الضواري؟!.

(١) البدية والنهاية لابن كثير ٦/ ٣٠٢.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ التوبة: ١٠٣.

فقد قالوا: أن الزكاة تدفع للنبي لأنه كان سكناً لنا، أما وقد مات النبي وانقطع السكن فلا يجب دفع الزكاة..!

وتمضي الايام وتزداد حركة الردّة، ويستشير أبو بكر الصحابة فيقولون له: اتركهم يا خليفة رسول الله وتألفهم، حتى أن عمر بن الخطاب المعروف بجرأته وقوته وحزمه، يطلب من أبي بكر الصبر عليهم، وقال فيما قال: (كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله ﷺ: [أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله؟] فقال: والله لأقاتلن مَنْ فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها الى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها، قال عمر رضي الله عنه: فوالله، ما هو إلا أنْ قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه، فعرفت أنه الحق) [١].

ويعجب أبو بكر من موقف عمر في محاورته معه حين طلب عمر الصبر عليهم فيخاطبه قائلاً: (رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك! جبّاراً في الجاهلية خوّاراً في الإسلام... والله لأجاهدنهم ما استمسك السيف في يدي...) [٢].

لقد عزم على قتال المرتدين غير مهتم بخطورة الموقف، فقد كثرت القبائل التي ارتدت، حتى لم يبق مع دولة الخلافة سوى المدينة ومكة والطائف. وهكذا باشر قتال المرتدين بمن كان معه، بعد أن عقد أحد عشر لواءاً لأحد عشر قائداً من صحابة النبي ﷺ منهم: خالد ابن الوليد، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة.. وتسير الألوية على بركة الله، ويتنزل النصر من الله، وتكسر شوكة المرتدين.!

لقد كان موقف أمير المؤمنين سيدنا أبي بكر يتسم بالإدارة الحازمة التي لا تعرف التراجع،

---

(١) رواه البخاري في كتاب الزكاة (باب: وجوب الزكاة) حديث ١٣٩٩- ١٤٠٠، صحيح البخاري ص٣٩٢.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٦٨.

وتتجلى فيه الحكمة في صورة من أحسن صورها، ذلك أن أبا بكر لو صبر عليهم وتساهل في أمر أخذ الزكاة منهم، لأقدموا على خطوة ثانية بانتقاض جانب آخر من جوانب الإسلام، وعند ذاك يتشتت شمل المسلمين.

٣ - جمع القرآن الكريم.

ارتدت قبائل عربية كثيرة، فجهَّز أبو بكر جيش المسلمين لمحاربتهم، ويلتقي الجيشان وتقع معارك ضارية، وتسقط أعداد كثيرة من الشهداء. ففي حرب اليمامة وحدها استُشهد مائتان والف من المسلمين، منهم سبعون من حفاظ القرآن الكريم. وكان سيدنا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعيد النظر، فتنبه لخطورة الأمر، فاقترح على أبي بكر أن يأمر بجمع القرآن. ويسأله أبو بكر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فيجيب عمر: هذا- والله- خير. ويظل عمر يراجع أبا بكر في الأمر، حتى شرح الله صدر أبي بكر لذلك، فكلف زيد بن ثابت للقيام بهذه المهمة. ويمتثل زيد ومعاونوه الأمر، ويقومون به خير قيام: (فنقلوا القرآن من تلك المفردات الى صحف من نوع واحد بمقياس واحد، تحفظ بين دفتين حفاظاً له. وما كتبت آية من آيات القرآن إلا بشاهدين، ليكون أوفى في التثبت والتيقن. ولم يكتفوا بالحفظ وحده، بل كانوا يقابلون ذلك بما كتب. وقد تم جمع القرآن في عهد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خلال سنة واحدة على وجه التقريب. ويأتي زيد الى أبي بكر فيسلمه المصحف. ويحتفظ أبو بكر بذلك المصحف طوال خلافته، وقبيل موته عهد به الى المرشح للخلافة من بعده: عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وظل المصحف لدى أمير المؤمنين عمر طوال حياته، ثم سلّمه الى ابنته حفصة في آخر لحظات حياته؛ إذ لم يكن الخليفة الثالث قد بويع بالخلافة آنذاك)[1].

لقد كان جمع القرآن بهذه الطريقة، له أثره الكبير في حفظه خشية أن يختلف المسلمون في

(١) علوم القرآن للمؤلف ص٣٨، الطبعة الثانية ١٤٢٩ - ٢٠٠٨.

قراءة قسم من آياته بعد أن استشهد عدد ليس بالقليل من حفظته. فهو وسيلة من وسائل حفظ الله لكتابه العزيز في قوله تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر: ٩.

ولقد أثنى الصحابة على أبي بكر بجمعه القرآن، حتى قال سيدنا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أعظم الناس أجراً في المصاحف: أبو بكر، إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين) [1].

٤ – الفتوحات الإسلامية.

اقتدى خليفة رسول الله أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالنبي الكريم في حرصه على نشر دعوة الله في كل مكان،وتخليص الناس من العقائد الزائغة والعبادات الباطلة ونظر الى الدولتين العظيمتين- آنذاك- : دولة فارس ودولة الروم، فرأى الناس قد غرقوا الى الأذقان ببحر من الكفر والشرك والضلال وعبادة الأرواح والنيران والأصنام والأوثان: فلابد من نشر مبادئ الإسلام في هاتين الدولتين وغيرهما، ليطلعوا على هذا الدين من غير أن يجبروا أحداً على الدخول فيه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾البقرة: ٢٥٦، وكل من ينظر في هاتين الدولتين يجد حواجز وموانع وعقبات أمام من يريد أن ينضم تحت لواء الإسلام. وقد كان النبي ﷺ قد بدأ بهذه الخطوة حين جَهَّز جيش اسامة بن زيد لحرب الروم، لذلك قام ابوبكر بتجهيز جيوشه وتوجيهها نحو دولتي فارس والروم. وأمرهم أن لا يبدأوا القتال حتى يدعوهم الى الإسلام، فإن لم يقبلوا دَعَوْهم الى إعطاء الجزية وهي مبلغ قليل زهيد، فإن لم يقبلوا استعانوا الله عليهم وباشروا بقتالهم. وقد انطلقت الجيوش الإسلامية في جبهتين:

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٧١، اعتنى به وعلق عليه: محمود رياض الحلبي، الطبعة السادسة ١٤٢٥- ٢٠٠٤، دار المعرفة، بيروت.

الأولى:

جبهة الفرس في الشرق: وكان قائدها سيف الله المسلول خالد بن الوليد، وتمكن الجيش الإسلامي أنْ يفتح أكثر بلاد العراق بعد معارك ضارية، أبلى المسلمون فيها بلاءاً حسناً كـ(وقعة الأبلة) و(وقعة الوجة) و(وقعة الليس) و(فتح الحيرة) وغير ذلك من الوقعات... وقد كتب الله فيها النصر لعباده المؤمنين الصادقين الصابرين.

الثانية:

جبهة الروم في الشمال: ارسل أبو بكر جيشاً، وأَمَّر عليه خالد بن سعيد بن العاص. والتقى الجيش الإسلامي جيش الروم. لكنَّ القوتين لم تكونا متكافئتين: فقد كانت قوة الروم أكثر عدداً وعدَّةً، فطلب من أبي بكر أن يمده بمدد؛ فجهز أبو بكر اربعة من الجيوش: وجَّهَ الأول منهم الى فلسطين، وكان بقيادة عمرو بن العاص، والثاني الى الأردن بقيادة شرحبيل بن حسنة، والثالث الى البلقاء بقيادة يزيد بن ابي سفيان، والرابع الى حمص بقيادة ابي عبيدة عامر بن الجراح، وقد ودع أبو بكر الجيوش ماشياً، وأوصاهم بما فيه خيرهم في دنياهم وأُخراهم. ووصلت الجيوش الى الأماكن المخصصة لها، وعسكرت مدة ثلاثة أشهر من غير أن تحرز النصر. لذلك كتب الأمراء الى أبي بكر يطلبون منه المدد؛ فكتب الخليفة الى خالد بن الوليد- وقد كان بالعراق- أن يتوجه الى الشام؛ فتوجه خالد اليها بسرعة أذهلت من أرّخ لتلك المعركة. وكما جاء المدد الى المسلمين، فقد جاء الى الروم- ايضاً- في الوقت نفسه. واجتمعت جيوش المسلمين تحت قيادة خالد بن الوليد، ووقعت معركة اليرموك. واشتركت النساء المسلمات في هذه المعركة وقاتلن قتال الأبطال بجرأة. وانتهت المعركة بانتصار المسلمين انتصاراً باهراً، بعد أن قدموا ثلاثة آلاف من صحابة رسول الله ﷺ شهداء.!

إنصاف الرعية من نفسه

أخرج البيهقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قام يوم جمعة، فقال: اذا كان بالغداة، فاحضروا صدقات الإبل نقسم، ولا يدخل علينا أحد إلا بإذن. فقالت امرأة لزوجها: خذ هذا الخطام لعل الله يرزقنا جملاً. فأتى الرجل، فوجد أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قد دخلا الى الإبل، فدخل معهما، فالتفت أبو بكر فقال: ما أدخلك علينا؟ ثم أخذ منه الخطام فضربه. فلما فرغ أبو بكر من قسم الإبل دعا بالرجل، وأعطاه الخطام وقال: استقد. فقال له عمر: والله لا يستقيد؛ لا تجعلها سنة.

قال أبو بكر: فمن لي من الله يوم القيامة؟ قال عمر: أرضِه، فأمر أبو بكر غلامه أن يأتيه براحلة ورحلها وقطيفة وخمسة دنانير فأرضاه بها [1].

واذا كان سيدنا عمر قد اعترض على أبي بكرهنا وقال: (والله لا يستقيد؛ لا تجعلها سنة)؛ لأن من حق الخليفة أن يقوم بمعاقبة المخالف من رعيته. وربما رأى أبو بكر أنه تجاوز في تأديبه فطلب أن يستقيد منه.

التأمين الاجتماعي ضد الشيخوخة والمرض والفقر

كان خالد بن الوليد يقود المعارك لفتح العراق في عهد أبي بكر الصديق، وهناك أعلن في معاهدة الصلح مع أهل الحيرة- وكانوا من النصارى- التأمين الاجتماعي ضد الشيخوخة

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى ٨/ ٤٩، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة ١٤١٤- ١٩٩٤.

والمرض والفقر، وجاء في هذه المعاهدة: (.. وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، او اصابته آفة من الآفات، او كان غنياً فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام..) [1].

أبو بكر يحسّ بدنوٍّ أجله ويستخلف

لّما أحس خليفة رسول الله بدنوّ أجله استشار الصحابة في أمر من يتولى الخلافة من بعده فقال: (إني قد نزل بي ما ترون، ولا أظنني إلا لمأْتي، فأمّروا عليكم من أحببتم، فإنكم إن أمّرتم عليكم في حياة مني كان أجدر أن لا تختلفوا بعدي).

فتشاور الصحابة فيما بينهم، ثم جاءوه طالبين منه أن يرشح هو لهم واحداً. فسألهم: فلعلكم تختلفون؟ قالوا: لا، قال فعليكم عهد الله على الرضا؟ قالوا: نعم، قال: فأمهلوني أنظر لله ولدينه ولعباده. ثم أرسل الى عثمان بن عفان فاستشاره، فأشار عليه بعمر بن الخطاب، فأمره أن يكتب له عهداً [2].

لقد استخلف الصدِّيق الفاروقَ عمر لما عرفه عنه من قدرته على ادارة دفة الخلافة، والقيام بمسؤولياتها. ولم يستخلفه مع معرفته به إلا بعد أن ظل مدة من الزمن يشاور الصحابة في استخلافه، وممن استشارهم: عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وسعيد ابن زيد، واسيد بن حضير، وكل واحد منهم كان يثني الثناء الحسن على ما عزم عليه أبو بكر، فقال فيه عبد الرحمن بن عوف: هو أفضل من رأيك فيه، وقال فيه عثمان: ليس فينا مثله، وقال فيه أُسيد: هو أعلم للخير بعدك: سريرته خير من علانيته، ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى منه.

---

(١) الخراج للقاضي ابي يوسف ص١٤٤، دار المعرفة ١٣٩٩ - ١٩٧٩، بيروت.

(٢) مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص٥٢ تحقيق زينب ابراهيم القاروط، دار الكتب العلمية، بيروت.

وبعد ذلك طلب أبو بكر من عثمان بن عفان أن يكتب كتاب الإستخلاف، فقال له أكتب: (بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا، خارجاً منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها، حين يؤمن الكافر، ويؤمن الفاجر، ويصدق الكاذب: إني مستخلف عليكم بعدي عمر بن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا؛ فإني لم آل الله ورسوله ﷺ ودينه ونفسي وإياكم خيراً: فإن عدل فذلك ظني به، وعلمي فيه، وإن بدّل، فلكل امرئ ما اكتسب، والخير أردت، ولا أعلم الغيب، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، والسلام عليكم ورحمة الله) [1].

وقد أمر أبو بكر أن يختم الكتاب، وأن يخرجوا به الى الناس. وهكذا كان؛ فبايع المسلمون كلهم عمر بن الخطاب. ثم دعا أبو بكر عمر فأوصاه بهذه الوصية:

(اتق الله يا عمر، واعلم ان لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى فريضة، وإنما ثقلت موازين مَنْ ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم، وحق لميزان يوضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلاً، وإنما خفَّت موازين منْ خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم، وحق لميزان يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً، وان الله تعالى ذكر أهل الجنة. فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئه، فإذا ذكرتهم قلت: إني لأخاف أن لا الحق بهم، وان الله تعالى ذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم، وردّ عليهم أحسنه، فإذا ذكرتهم قلت: إني لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء؛ ليكون العبد راغباً راهباً، لا يتمنى على الله ولا يقنط من رحمة الله. فإنْ أنت حفظت وصيتي، فلا يك غائب أحب اليك من الموت وهو آتيك، وإن أنت ضيعت وصيتي، فلا يك غائب أبغض اليك من الموت، ولست تعجزه) [2].

---

(١) تهذيب الاسماء واللغات للإمام النووي ٢/ ١١، ومجموعة الوثائق السياسية لمحمد حميد الله ص ٤٠٥، الطبعة الثامنة ١٤٣٠- ٢٠٠٩، دار النفائس، بيروت.

(٢) صفة الصفوة لابن الجوزي ١/ ٢٦٤- ٢٦٥.

وبعد ان انتهى من وصيته دعا الله تعالى بهذا الدعاء: (اللهم إني لم أُرد بذلك إلا صلاحهم، وخفت عليهم الفتنة، فعملت فيهم بما انت اعلم به، واجتهدت لهم رأيي، فوليتُ عليهم خيرهم وأقواهم عليهم، وأحرصهم على ما أرشدهم، وقد حضرني من أمرك ما حضر، فاخلفني فيهم، فهم عبادك، ونواصيهم بيدك، واصلح لهم ولاتهم، واجعله من خلفائك الراشدين، يتبع هدى نبي الرحمة، وهدى الصالحين بعده، واصلح له رعيته) [1].

الاستخلاف ترشيح فقط

وهذا الإستخلاف إنْ هو إلا ترشيح فقط لا تُلزَم الأمة بقبوله. ويظل الأمر بيد الأمة: فإن وافقت عليه وبايعته انعقدت له البيعة وإلا فلا. وهذا ما حصل لأمير المؤمنين عمر حيث بايعه المسلمون، وأجمعت الأمة على بيعته والرضا به.

أبو بكر على فراش الموت

ولما دنا أجل أبي بكر دعا ابنته عائشة أم المؤمنين فأوصاها قائلاً: (يا بنيّة، إنا ولينا أمر المسلمين، فلم نأخذ لنا ديناراً ولا درهماً، ولكنا أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا، وإنه لم يبق عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا العبد الحبشي، وهذا البعير الناضح، وجَرْد هذه القطيفة؛ فإذا متّ فابعثي بهن الى عمر) [2].

ونفَّذت ام المؤمنين عائشة وصية أبيها. فلما وصل ذلك الى عمر بن الخطاب، بكى حتى جعلت دموعه تسيل في الأرض ويقول: رحم الله ابا بكر، لقد أتعب مَنْ بعده! رحم الله ابا

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٢٠٠، دار صادر، بيروت.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٦٠.

بكر، لقد أتعب مَنْ بعده!، يا غلام إرْفعهن. فقال عبد الرحمن بن عوف: سبحان الله! تسلب عيال أبي بكر عبداً حبشياً، وبعيراً ناضحاً، وجَرد قطيفة ثمن خمسة الدراهم؟! قال عمر: فما تأمر؟ قال: تردهن على عياله، فقال عمر: لا والذي بعث محمداً بالحق -او كما حلف- لا يكون هذا في ولايتي أبداً، ولا خرج أبو بكر منهن عند الموت وأردهن انا على عياله، الموت أقرب من ذلك [1].

وروى ابن عساكر: (أن ابا بكر الصديق لمّا أن ثَقُل قال لعائشة: إنه ليس أحد من أهلي أحب الي منك، وقد كنت أقطعتك أرضاً بالبحرين لا أراك رزأت منها شيئاً، قالت له: أجلْ. قال: فإذا أنا متّ، فابعثي هذه الجارية -وكانت ترضع ابنه- وهاتين النعجتين وحالبهما الى عمر، وكان يسقي لبنهما جلساءه، ولم يكن في يده من المال شيء. فلما مات أبو بكر بعثت عائشة بالغلام والنعجتين والجارية الى عمر، فقال عمر: يرحم الله ابا بكر! لقد أتعب من بعده!؛ فقبل النعجتين والغلام، وَرَدَّ الجارية عليهم) [2].

ولم يكتف أبو بكر بهذا، بل أوصى ابنته ام المؤمنين عائشة بقوله: (انظروا كم أنفقت منذ وَليتُ من بيت المال فاقضوه) [3].

هكذا أعاد الى بيت المال ما كان فرضه له الصحابة ليقتات به حين ترك تجارته وتفرّغ لشؤون الخلافة. ولمّا أحسَّ بدنو أجله أوصى بأن يكفن بثوبين قديمين وقال: (انظروا ثوبيَّ هذين فاغسلوهما، ثم كفنوني فيهما، فإن الحيَّ أحوج الى الجديد منهما) [4].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٣٠/ ٣٢٦.

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٣٠/ ٤٢٤.

(٣) إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله أبو بكر الصديق: تأليف: الدكتور حامد محمد الخليفة ٢/ ٨٥٢، الطبعة الأولى ١٤٢٨- ٢٠٠٧، عمان، الأردن.

(٤) نصب الراية للزيلعي ٢/ ٢٦٢، تحقيق: محمد يوسف البنوري ١٣٥٧، دار الحديث، القاهرة، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٦٤.

وكان من دعائه: اللهم اجعل خير عمري آخره وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم لقائك.! وكان آخر ماتكلم به تلاوته لقوله تعالى داعياً بها: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ يوسف: ١٠١.

ومات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وما ترك ديناراً ولا درهماً؛ فقد أنفق ماله كله في سبيل الله (وغسلته زوجه أسماء بنت عميس، وابنه عبد الرحمن، وكفِّن في ثوبيه كما أوصى، وصلى عليه خليفته من بعده عمر بن الخطاب، ودُفِنَ ليلاً في حجرة عائشة، وجُعِلَ رأسه عند كتفي رسول الله ﷺ) [١].

وقد روى عن النبي ﷺ ١٤٢ حديثاً [٢]، اتفق البخاري ومسلم منها على ستة، وانفرد البخاري بأحد عشر، ومسلم بحديث واحد[٣]، وروى عنه كثير من الصحابة منهم: عمر ابن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت، وابو سعيد الخدري، وغيرهم كثير. رضي الله عن خليفة رسول الله، وجمعنا به وبصحابة نبيه في جنات النعيم!

(١) تاريخ مدينة دمشق ٣٠/ ٤٤٦،وإتمام الوفاء للخضري ص٥٥، تحقيق السيد عبد الغني زايد، الطبعة الأولى ١٤٢٦- ٢٠٠٥، دار شروق، المنصورة، مصر.

(٢) اسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد لابن حزم ص٥٧، تحقيق: سيد كسروي حسن، الطبعة الأولى ١٤١٢- ١٩٩٢، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) اذا كانت روايات أبي بكر عن النبي ﷺ ليست بالكثيرة؛ فلأنَّ حياته التي قضاها بعد موت النبي ﷺ لم تزد عن سنتين وثلاثة الأشهر وعشرة الأيام؛ لأن الصحابة -آنذاك- كانوا كثرة كاثرة في حياته، فرأوا كثيرا مما رأى، وسمعوا كثيراً مما سمع؛ ولأنه -ايضاً- انشغل بحرب المرتدين، فلم يحتج الصحابة من النقل عنه إلا ما لم يكن عندهم.

رثاء علي لأبي بكر

لمّا مات خليفة رسول الله أبو بكر، رثاه سيدنا علي رثاءاً رائعاً قلَّ نظيره، وهو خطبة من أبلغ خطبه. فقد جاء باكياً مسترجعاً، فوقف على باب بيت أبي بكر وقال:

(رحمك الله ابا بكر، كنت إلف رسول الله ﷺ وأُنسه، وثقته وموضع سره، كنت أول القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدّهم يقيناً، وأخوفهم لله، وأعظمهم غناءاً في دين الله، واحوطهم على رسول الله، وأثبتهم على الإسلام، وأيمنهم على أصحابه، وأحسنهم صحبة، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم وسيلة، وأشبههم برسول الله ﷺ سنناً وهدياً، ورحمةً وفضلاً، وأشرفهم منزلةً، وأكرمهم عليه، وأوثقهم عنده، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله خيراً.

كنت للدين يعسوبا، أولاً حين نفر عنه الناس، وآخراً حين قفلوا. وكنت للمؤمنين أبا رحيماً؛ إذ صاروا عليك عيالاً؛ فحملت أثقال ما ضعفوا عنه، ورعيت ما أهملوا، وحفظت ما أضاعوا، شمرت إذ خنعوا، وعلوت إذ هلعوا، وصبرت إذ جزعوا، وأدركت أوتار ما طلبوا، وراجعوا رشدهم برأيك فظفروا، ونالوا بك مالم يحتسبوا.

وكنت كما قال رسول الله ﷺ: أمنَّ الناس عليه في صحبتك وذات يدك، وكنت كما قال: ضعيفاً في بدنك، قوياً في أمر الله، متواضعاً في نفسك، عظيماً عند الله، جليلاً في أعين الناس، كبيراً في أنفسهم.

شأنك الحق والصدق والرفق، وقولك حكم وحتم، وأمرك حلم وحزم، ورأيك علم وعزم، فأبلغت وقد نهج السبيل، وسهل العسير، واطفأت النيران، واعتدل بك الدين وقوي الإيمان، وظهر أمر الله ولو كره الكافرون. وأتعبت مَنْ بعدك إتعاباً شديداً، وفزت

بالخير فوزاً عظيماً، فجللت عن البكاء، وعظمت رزيتك في السماء، وهدت مصيبتك الأيام، فإنا لله وإنا اليه راجعون. رضينا عن الله قضاءه، وسلمنا له أمره، فوالله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله ﷺ بمثلك أبداً، فألحقك الله بنبيه، ولا حرمنا أجرك، ولا أضلنا بعدك) [1].

(١) إعجاز القرآن للباقلاني ص١٤٣- ١٤٥، تحقيق السيد احمد صقر، الطبعة الثالثة، ذخائر العرب ١٢، دار المعارف، القاهرة.

أمير المؤمنين

عمر بن الخطاب

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

كتب الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله رحمة واسعة كتابه (أخبار عمر) وقال في مقدمة الكتاب: (أنا كلما ازددت اطلاعاً على أخبار عمر، زاد إكباري إياه وإعجابي به، ولقد قرأتُ سِيَرَ آلاف العظماء من المسلمين وغير المسلمين، فوجدت فيهم من هو عظيم بفكره، ومن هو عظيم ببيانه، ومن هو عظيم بخلقه، ومن هو عظيم بآثاره، ووجدت عمر قد جمع العظمة من أطرافها، فكان: عظيم الفكر، والأثر، والخلق، والبيان، فإذا أحصيت عظماء الفقهاء والعلماء، الفيت عمر في الطليعة، فلو لم يكن له إلا فقهه لكان به عظيماً. وإن عددت الخطباء والبلغاء، فكان اسم عمر من أوائل الأسماء، وإن ذكرت عباقرة المشرِّعين، او نوابغ القواد العسكريين، او كبار الإداريين الناجحين، وجدت عمر إماماً في كل جماعة، وعظيماً في كل طائفة، وإن استقريت العظماء الذين بنوا دولاً، وتركوا في الأرض أثراً، لم تكد تجد فيهم أجلَّ من عمر. وكل ناحية من هذه النواحي يؤلف فيها كتب كُثُر لا كتاب واحد..) [1].

فمن هذا العبقري الذي سارت بذكره الركبان؟

أنه عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العُزّى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي، يجتمع نسبه مع النبي ﷺ في كعب، كنيته أبو حفص كنّاه بها رسول الله ﷺ، ولقبه الفاروق.

ولد بعد حادثة الفيل بثلاث عشرة سنة: أي قبل البعثة النبوية بسبع وعشرين سنة. وقد كان من أشراف قريش في الجاهلية، وعُرفَ برجاحة عقله وحُسن تصرفه، فكان سفير قريش ترسله الى القبائل في الأمور المهمة. ولما بعث الله محمداً ﷺ نبياً ورسولاً للعالمين كان عمر قد

(١) أخبار عمر تأليف علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي ص٧- ٨، الطبعة الرابعة عشرة، ١٤٢٨-٢٠٠٧، دار المنارة، جدة.

بلغ من العمر ثلاثين سنة، وقد وقف معادياً له وللدين الذي جاء به أوّل الأمر، ولم تسلم منه اخته وصهره سعيد بن زيد لما علم بأسلامهما. وقد شرح الله صدره للإسلام وأكرمه بالهداية، فأسلم في السنة السادسة من البعثة النبوية، فاعتزّ به الإسلام، وصار واحداً من العشرة المبشرة بالجنة، واحد كبار علماء الصحابة وزهادهم وعبادهم وقوادهم، ومن ذوي العدل والرحمة في المسلمين، وهو ثاني الخلفاء الراشدين، وأحد أصهار النبي ﷺ، وأحد وزرائه، وأحب الرجال الى النبي ﷺ بعد أبي بكر، وكان يخافه الشيطان، وايده القرآن في عدد من المناسبات. وحين اسلم بين يدي النبي ﷺ كبَّر المسلمون فرحاً بذلك، وقد أعزَّ الله الإسلام به، حتى قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (ما زلنا أعزة منذ أن أسلم عمر)[1] .

وقال: (ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر بن الخطاب، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه..[2]).

وكان رضي الله عنه من المهاجرين الأولين الى المدينة، وقد لازم النبي ﷺ في الحضر والسفر، وشهد معه المشاهد كلها، وكان شديداً على الكفار والمنافقين، رفيقاً بالمسلمين، وحريصاً على مصالحهم، وقد عُرِفَ بعلمه الواسع حتى قال ابن مسعود حين مات عمر: لقد ذهب بتسعة أعشار العلم. وذكر البراء بن عازب أنَّ أول من قدم المدينة من المهاجرين مصعب بن عمير، ثم عبد الله بن ام مكتوم، ثم عمر بن الخطاب في عشرين راكباً. (كان رضي الله عنه شديداً في الحق، ذكياً ثاقب الرأي، متحمساً لدينه، وفياً لنبيه، شديد الهيبة، كثير الورع، شديد التأثر بالقرآن، وافر العدل، يحاسب نفسه قبل أن يحاسب رعيته) [3].

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، حديث ٣٦٨٤، صحيح البخاري ص ٩٣٤.

(٢) فضائل الصحابة للإمام احمد بن حنبل ص٨٨ حديث ٣٧٠، تحقيق احمد فريد المزيدي، الطبعة الأولى ١٤٢٩- ٢٠٠٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) الخلفاء الراشدون: أعمال وأحداث للدكتور أمين محمد القضاة ص٤٦، الطبعة الرابعة ١٤٣٠- ٢٠٠٩، دار الفرقان، عمان، الأردن.

لقد تولى عمر إمرة المؤمنين وعمره اثنتان وخمسون سنة وستة أشهر، فكان نعم الخليفة، موفقاً بتوفيق الله، ونجح كل النجاح في ترتيباته الإدارية، وإصلاحاته الإجتماعية، وسعدت به رعيته، وصار مضرب المثل في إعطاء الحقوق الى أصحابها، وإقامة العدل بين الناس.

فضائله

فضائل سيدنا عمر كثيرة جداً، يمكن أن تكتب فيها أسفار عديدة، ابتداءاً من جهاده مع النبي ﷺ، وتعاونه مع أبي بكر الصديق في تدبير شؤون الدولة، وفي حسن سياسته لما تولى أمر الخلافة، ومحافظته على مال الأمة، وحزمه في إقامة موازين العدالة، وتنظيماته المالية والإدارية، والمساواة بين الناس، وتفقده لأحوال الرعية، وزهده بزينة الحياة الدنيا، والفتوحات التي حدثت في عهده، وغير ذلك كثير.

ولا نريد أن نتحدث بشيء من ذلك هنا، ولكن نذكر ثناء النبي ﷺ عليه، وهل هناك فضيلة أكثر من فضيلة من يثني عليه النبي ﷺ؟!.

لقد كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الملهمين الذين يجري الله على السنتهم الحكمة و الصواب، ويكفينا أن نعلم أن النبي ﷺ قال فيه: [لو كان من بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب] (١).

وقال: [إيهاً يا بن الخطاب، والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك] (٢).

وعن انس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صعد النبي ﷺ أُحُداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان،

(١) رواه الإمام احمد في مسنده حديث١٧٣٣٦، المسند ١٣/ ٣٦٣، والترمذي في (باب: في مناقب ابي حفص عمر بن الخطاب) حديث، ٣٦٨٦، سنن الترمذي ص٨٣٦.

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (باب: مناقب عمر بن الخطاب)، ٣٦٨٣، صحيح البخاري ص٩٣٤.

فرجف بهم، فضربه برجله وقال [أُثبت أُحُد، فما عليك إلا نبي، او صديق او شهيدان] [١].

وقال:

[لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدَّثون، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر[٢]] .

وقال ﷺ: (بينا أنا نائم رأيت الناس عُرضوا عليَّ وعليهم قُمُص، فمنها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعُرِضَ عليَّ عمر وعليه قميص اجترّه). قالوا فما أولته يا رسول الله؟، قال: [الدين] [٣]).

وعن ابي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت مع النبي ﷺ في حائط (بستان) من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح فقال النبي ﷺ: [افتح له وبشره بالجنة]، ففتحت له فإذا هو أبو بكر، فبشرته بما قال النبي ﷺ؛ فحمد الله. ثم جاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ: [افتح له وبشره بالجنة]، ففتحت له فإذا هو عمر فأخبرته بما قال النبي ﷺ؛ فحمد الله، ثم استفتح رجل فقال لي: [افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه] فإذا عثمان فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ، فحمد الله ثم قال: الله المستعان[٤].

أما صحابة النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقد أكثروا من ثنائهم على سيدنا عمر، ويكفينا أن نذكر أن عبد الله بن مسعود قال: (مازلنا أعزة منذ أن أسلم عمر)[٥].

---

(١) رواه البخاري مفي كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (باب: مناقب عمر بن الخطاب)، حديث ٣٦٨٦، صحيح البخاري ص٩٣٤.

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (باب: مناقب عمر بن الخطاب)، حديث ٣٦٨٩ ص٩٣٥. ومعنى (محدَّثون): ملهمون.

(٣) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (باب: مناقب عمر بن الخطاب)، حديث ٣٦٩١، صحيح البخاري ص٩٣٥.

(٤) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (باب: مناقب عمر بن الخطاب)، حديث ٣٦٩٣، صحيح البخاري ص٩٣٦.

(٥) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، حديث ٣٦٨٤، صحيح البخاري ص٩٣٤.

وقال –ايضاً–: (إن عمر بن الخطاب كان حصناً حصيناً للإسلام، يُدخَل فيه، ولا يُخرَج منه، فلما مات عمر انثلم من الحصن ثلمة، فهو يخرج منه ولا يدخل فيه، وكان إذا سلك بنا طريقاً وجدناه سهلاً، فإذا ذكر الصالحون فحي هلاً بعمر بن الخطاب، كان فصل ما بين الزيادة والنقصان، والله لوددت أني أخدم مثله حتى أموت) [1].

وقال –ايضاً–: (كان إسلام عمر فتحاً، وكانت هجرته نصراً، وكانت إمارته رحمة، لقد رأيتنا وما نستطيع ان نصلي بالبيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فصلينا)[2].

وقد نزل القرآن موافقاً لما قاله سيدنا عمر في حوادث عديدة، ومنها: في إتخاذ مقام ابراهيم مصلى، وفي الحجاب لأمهات المؤمنين، وفي قضية أسرى المشركين في غزوة بدر، ومنع الصلاة على المنافقين، وتحريم الخمر، وقوله لنساء النبي ﷺ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ﴾ التحريم: ٥. وغير ذلك. وقد أوصلها بعضهم الى خمسة عشر من موافقات القرآن لعمر، وذكر السيوطي أن بعضهم قد أوصلها الى أكثر من عشرين [3].

إيمان عُمر

القرآن الكريم له سلطانه على القلوب النقية الطاهرة، فهو يستولي على القلوب والنفوس ويعمل عمله فيهما.

ومن أصحاب هذه القلوب والنفوس النقية الطاهرة: عمر بن الخطاب رضي الله عنه. لقد جاء

(١) شرح السنة للبغوي ٧/ ١٩٠، حققه وعلق عليه: الشيخ علي محمد معوض والشيخ: عادل احمد عبد الموجود، الطبعة الأولى ١٤١٢– ١٩٩٢، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) طبقات ابن سعد٣/ ٢٥٠ ، طبعة الخانجي.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٩٦.

ليبطش بأخته فاطمة وزوجها سعيد بن زيد بعد أن علم بإسلامهما، لكنه ما إن أمسك بيده الصحيفة التي كانا يقرآن فيها وهي آيات من سورة (طه) وبدأ يقرأ حتى تأثر بها وقال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! ومضى الى رسول الله ﷺ، وتشهد شهادة الحق أمامه معلناً انضواءه تحت لواء الإسلام. وتمضي الأيام وآيات القرآن تنزل على النبي ﷺ. فيزداد إيماناً على إيمان، ويتمكن في قلبه أكثر وأكثر، حتى صار كأنه يرى الناس في الجنة رأي العين وهم ينعّمون، وفي جهنم وهم يعذبون.

وكان رضي الله عنه يتأثر بتلاوة او سماع كل آية من آيات القرآن، روى ابن عمر رضي الله عنه قال: (صليتُ خلف عمر؛ فسمعت حنينه من وراء ثلاثة صفوف) [1].

وروى هشام بن الحسن قال: (وكان (عمر) يمرّ بالآية في ورده فتخنقه فيبكي حتى يسقط، ثم يلزم بيته حتى يعاد؛ يحسبونه مريضاً) [2].

ويروي ابن كثير عن جعفر بن زيد العبدي قال:

(خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعس المدينة ذات ليلة، فمرَّ بدار رجل من المسلمين، فوجده قائماً يصلي، فوقف يستمع قراءته، فقرأ سورة الطور، حتى بلغ قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ الطور: ٧ – ٨.

قال عمر: قسمٌ حق وربِّ الكعبة. فنزل عن حماره، واستند الى حائط، فمكث قليلاً، ثم رجع الى منزله فمكث شهراً يعوده الناس، لا يدرون ما مرضه رضي الله عنه)[3].

ولقد كان يحاسب نفسه حساباً دقيقاً على كل قول يقوله او عمل يعمله، متذكراً وزن الأعمال يوم القيامة فيقول: (زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وحاسبوها قبل أن تحاسبوا؛ فإنه

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ١/ ٨٨، الطبعة الثالثة ١٤٢٧– ٢٠٠٧، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٨٨.

(٣) تفسير ابن كثير تهذيب وترتيب الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي ٦/ ٣١٠٠، الطبعة الأولى ١٤٢٩– ٢٠٠٨، دار الفاروق، عمان، الأردن.

أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم، وتزيَّنوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ الحاقة: ١٨)[١]. ومن محاسبته نفسه ما رواه أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت عمر بن الخطاب يوماً وبيني وبينه جدار وهو في جوف الحائط يقول: (عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ.! والله بُنيّ الخطاب لتتقين الله او ليعذبنك) [٢].

ولقد كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شديد الحذر من الذنوب، يعيش بين الخوف والرجاء، ويحسن ظنه بالله، وقد وضع أهوال يوم القيامة بين عينيه فيقول: (لو نادى منادٍ من السماء: أيها الناس، إنكم داخلون الجنة كلكم أجمعون إلا رجلاً واحداً، لخفت أن أكون هو، ولو نادى منادٍ: أيها الناس إنكم داخلون النار إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون هو) [٣].

ولقد كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يجد سعادته المثلى إلا في سجوده لله عز وجل وفي مجالسة أقوام يحسنون إنتقاء الطيب من الكلام الذي ينفع الإنسان في دنياه وأخراه فيقول:

(لولا ثلاث لأحببت أن أكون قد لقيت الله: لولا أن أضع جبهتي لله، أو أجلس في مجالس ينتقى فيها طيب الكلام كما ينتقى جيد التمر، او أن أسير في سبيل الله عز وجل) [٤].

أما عن ورعه، فيكفينا أن نقرأ ما رواه المسور بن مخرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كنا نتعلم من عمر ابن الخطاب الورع) [٥].

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٨٨ ط٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٧٢، طبعة الخانجي. والرياض النضرة للمحب الطبري ١/ ٣٧٦، الطبعة الثانية ١٤٢٤- ٢٠٠٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) حلية الأولياء ١/ ٩٠، ط٣.

(٤) حلية الأولياء ١/ ٨٧. ط٣.

(٥) طبقات ابن سعد ٦/ ٥٢٧.

تواضعه

إذا كان أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد عُرف بالشدة بين الناس، وتمثلت فيه العزة في صورة من أروع صورها، وقد قذف الله هيبته في قلوب الناس: صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنثاهم، فقد كان -في الوقت نفسه- على جانب كبير من التواضع وكان تواضعه مع المسلمين من أسباب رفعته، والنبي ﷺ يقول: (... وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) [1].

وهذه أمثلة على تواضعه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

١ - عن طارق بن شهاب قال: لمّا قدم عمر الشام عرضتْ له مخاضة، فنزل عمر عن بعيره، ونزع خفيه -او قال موقيه- ثم أخذ بخطام راحلته وخاض المخاضة! فقال له أبو عبيدة بن الجراح: لقد فعلت يا أمير المؤمنين فعلاً عظيماً عند أهل الأرض: نزعت خفيك، وقدمت راحلتك، وخضت المخاضة. قال: فصكّ عمر بيده في صدر أبي عبيدة فقال: أوه لو غيرك يقولها يا ابا عبيدة! أنتم كنتم أقل الناس فأعزكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العزة بغيره يذلكم الله تعالى) [2].

٢ - جاء بُرْد من اليمن -وكان من جيد ما حُمِلَ اليه- فلم يدرِ (عمر) لمن يعطيه من الصحابة: إن أعطاه واحداً غضب الآخر، ورأى أن قد فضّله عليه فقال: دلُّوني على فتى من قريش نشأ نشأة حسنة، فسمّوا له المسور بن مخرمة؛ فدفع الرداء اليه. فنظر اليه سعد فقال له:

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة (باب: استحباب العفو والتواضع) حديث ٢٥٨٨، صحيح مسلم ٤/ ٢٠٠١.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك في كتاب معرفة الصحابة حديث ٤٤٨١، المستدرك ٣/ ٨٨. وحلية الأولياء ١/ ٨٣.

ما هذا الرداء؟ قال: كسانيه أمير المؤمنين. فجاء معه الى عمر فقال له: تكسوني هذا الرداء، وتكسو أبن أخي مسوراً أفضل منه؟!. فقال له: يا أبا اسحق، إني كرهت أن أعطيه رجلاً كبيراً فيغضب أصحابه؛ فأعطيته من نشأ نشأة حسنة، لا تتوهم أني أفضله عليكم.

قال سعد: فإني قد حلفت لأضربنَّ بالرداء الذي أعطيتني رأسك؛ فخضع له عمر رأسه وقال: يا أبا اسحق، وليرفق الشيخ بالشيخ! فضرب رأسه بالبرد [1].

٣ – كان للعباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ ميزاب شارع (أي بارز ممتد) في مسجد رسول الله ﷺ فقلعه عمر بيده. فقال له العباس: والذي بعث محمداً بالحق، إنه هو الذي وضع هذا الميزاب في هذا المكان، فنزعته أنت يا عمر.

فقال عمر: فأنا أعزم عليك لما صعدت عليّ حتى تضعه في هذا الموضع (او قال): ضع رجليك على عنقي لترده الى ما كان. ففعل ذلك العباس [2].

٤ – قدم الأحنف بن قيس –وكان سيد قومه– على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وفد من العراق في يوم صائف شديد الحرّ، وهو معتجر (معمم) بعباءة يهنأ (يداوي) بعيراً من إبل الصدقة، فقال: (يا أحنف، ضع ثيابك، وهلمّ فأعنْ أمير المؤمنين على هذا البعير؛ فإنه من إبل الصدقة، فيه حق اليتيم والأرملة والمسكين)!.

فقال رجل من القوم: يغفر الله لك يا أمير المؤمنين! فهلا تأمر عبداً من عبيد الصدقة فيكفيك؟.

فقال عمر: وأيّ عبد هو أعبد مني ومن الأحنف؟ إنه من ولي أمر المسلمين، يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيده في النصيحة وأداء الأمانة[3].

---

(١) الرياض النضرة/ للمحب الطبري ١/ ٣٨٢ و عمر بن الخطاب لأبن الجوزي ص١٠٧ الطبعة الأولى ٢٠٠٤، دار الإسراء، عمان، الأردن.

(٢) الرياض النضرة ٢/ ٢٠، قال وأخرجه الإمام أحمد.

(٣) الخليفة العادل عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص٥٤.

إختياره الولاة

كانت لعمر طريقته الخاصة في إختيار الولاة ومحاسبتهم حتى صارت مضرب الأمثال، فكان إذا استعمل رجلاً أشهد عليه رهطاً من المهاجرين والأنصار أن لا يغلق بابه دون حاجات الناس، ولا يظلم أحداً في جسده ولا في ماله، وأن لا يستغل منصبه لفائدة له او لغيره، ويوصيه بطاعة الله وخشيته، ويحذره من الظلم، فكان يقول: (إني لم أبعثكم جبابرة، ولكن بعثتكم أئمة؛ فلا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تحمدوهم فتفتنوهم، ولا تمنعوهم فتظلموهم)[1].

وكتب مرة الى عامله أبي موسى الأشعري كتاباً جاء فيه: (أما بعد، فإن أسعد الرعاة من سعدت به رعيته، وإن أشقى الرعاة عند الله عز وجل من شقيت به رعيته، وإياك ان ترتع فيرتع عمالك، فيكون مثلك عند الله عز وجل مثل البهيمة: نظرت الى خضرة من الأرض فرعت فيها تبتغي بذلك السِّمَن، وإنما حتفها في سِمنها. والسلام عليك)[2].

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأمر عماله أن يوافوه في موسم الحج، وينادي بصوته في الناس: (أيها الناس، إني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم، ولا من أموالكم، إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم، وليقسموا فيئكم بينكم، فمن فُعِلَ به غير ذلك فليقم)[3].

وكان يقول: (أيما عامل لي ظلم أحداً فبلغتني مظلمته فلم أغيرها فأنا ظلمته)[4].

---

(١) الخراج للقاضي أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم ص١١٥، طبع سنة ١٣٩٩- ١٩٧٩، دار المعرفة، بيروت.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ١/ ٥٠.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٢٩٣.

(٤) الطبقات الكبرى لأبن سعد ٣/ ٣٠٥.

محافظته على مال الأمة

كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حريصاً كل الحرص على الحفاظ على مال الأمة: يتعب نفسه في ذلك، وهذه أمثلة على ذلك:

١- روى ابن الأثير عن مولى لعثمان بن عفان قال: (بينا أنا مع عثمان في مال له بالعالية في يوم صائف؛ إذ رأى رجلاً يسوق بَكرين، وعلى الأرض مثل الفراش من الحر.! فقال: ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يُبرد ثم يروح؟! ثم دنا الرجل، فقال: انظر من هذا؟ فنظرت فقلت: أرى رجلاً معتماً بردائه يسوق بكرين، ثم دنا الرجل فقال: انظرْ، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقلت: هذا أمير المؤمنين! فقام عثمان فأخرج راسه من الباب، فآذاه لفح السموم؛ فأعاد رأسه حتى حاذاه، فقال: ما أخرجك هذه الساعة؟! فقال: بكران من إبل الصدقة تخلفا، وقد مُضي بإبل الصدقة، فأردت أن الحقهما بالحمى، وخشيت أن يضيعا فيسألني الله عنهما. فقال عثمان: يا أمير المؤمنين، هلمَّ الى الماء والظل ونكفيك. فقال: عُد الى ظلك. فقلت: عندنا من يكفيك. فقال: عُد الى ظلك، فمضى؛ فقال عثمان: مَنْ أحب أن ينظر الى القوي الأمين؛ فلينظر الى هذا)[1].

٢- وينظر علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الى أمير المؤمنين عمر وهو يعدو الى ظاهر المدينة؛ فيسأله علي: الى أين يا أمير المؤمنين؟ فيقول له: قد ندّ بعير من إبل الصدقة فأنا أطلبه؛ فقال علي: قد أتعبت الخلفاء من بعدك[2].

---

(١) أسد الغابة لأبن الأثير ٤/ ١٨٢، تحقيق عادل احمد الرفاعي، الطبعة الأولى ١٤١٧- ١٩٩٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت؛ والرياض النضرة ١/ ٣٩٤.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ١٣٢- ١٣٣، تحقيق علي محمد معوض وجماعته، الطبعة الثانية ١٤٢٦- ٢٠٠٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣- ولقد كان سيدنا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسمي عمر بالقوي الأمين. قال نافع الليثي: (دخلت حيرة الصدقة -أي حظيرة الصدقة- مع عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب. قال: فجلس عثمان في الظل يكتب، وقام علي على رأسه يملي عليه ما يقول عمر، وعمر قائم في الشمس في يوم شديد الحر، عليه بردان أسودان، اتزر بأحدهما، ولفَّ الآخر على رأسه يعدّ إبل الصدقة: يكتب الوانها وأسنانها، فقال علي لعثمان: في كتاب الله: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ القصص: ٢٦، ثم أشار علي بيده الى عمر وقال: هذا القوي الأمين)[١].

٤- لقد كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل أن يتولى الخلافة تاجراً يعيش من تجارته. فلما انشغل بأمور الرعية جمع الناس في المدينة وقال لهم: (إني كنت امرءاً تاجراً، يغني الله عيالي بتجارتي، وقد شغلتموني بأمركم، فماذا ترون انه يحل لي من هذا المال؟. فأكثر القوم وعليّ عليه السلام ساكت، فقال: ما تقول يا علي؟ فقال: ما أصلحك وأصلح عيالك بالمعروف، ليس لك من هذا المال غيره. فقال القوم: القول قول ابن أبي طالب)[٢].

٥- ولقد كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: (إني أنزلت نفسي من مال الله منزلة مال اليتيم: إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف)[٣].

حق الناس في بيت المال

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحلف على أيمان ثلاثة فيقول:

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الاثير ٢/ ٤٥١، تحقيق: عبد الله القاضي، الطبعة الثانية ١٤١٥، دار الكتب العلمية، بيروت، والرياض النضرة للمحب الطبري ١/ ٣٩٣- ٣٩٤.

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٦١٦.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٥٦، طبعة الخانجي.

(والله ما أحد أحقّ بهذا المال (مال الدولة) من أحد، وما أنا أحقّ به من احد. ووالله ما من المسلمين من أحد إلا وله في هذا المال نصيب إلا عبداً مملوكاً، ولكنا على منازلنا من كتاب الله تعالى، وقسمنا من رسول الله ﷺ: فالرجل وبلاؤه في الإسلام (عمله وإنتاجه)، والرجل وقدمه في الإسلام، والرجل وغناؤه في الإسلام، والرجل وحاجته. ووالله لئن بقيت لهم ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو يرعى مكانه)[1].

التأمين الإجتماعي لأهل الكتاب

قال ابو يوسف –رحمه الله–: (مرَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بباب قوم وعليه سائل يسأل: شيخ كبير ضرير البصر،فضرب عضده من خلفه وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي. قال: فما ألجأَك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن. قال: فأخذ عمر بيده، وذهب به الى منزله؛ فرضخ له بشيء من المنزل. ثم أرسل الى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم.. ووضع عنه الجزية وعن ضربائه)[2].

ومرَّ رضي الله عنه عند مقدمه الجابية من ارض دمشق بقوم مجذومين من النصارى فأَمَر أن يعطوا من الصدقات، وأن يُجرى عليهم القوت[3].

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٧٩، طبعة الخانجي، ومناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص٩٩– ١٠٠.

(٢) الخراج لأبي يوسف ص١٢٦.

(٣) فتوح البلدان للبلاذري ص١٣٥ راجعه وعلق عليه رضوان محمد رضوان، مطبعة السعادة ١٩٥٩، القاهرة.

الفتوحات في خلافة عمر

يقف الإنسان معجباً أمام الفتوحات الإسلامية التي حدثت في عهد أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فبعد أن كان العرب في الجاهلية يتهيبون من فارس والروم؛ صاروا في الإسلام يهددون هاتين الدولتين، إذ رفعوا راية الجهاد في سبيل الله لنشر دين الله في العالمين، وتخليص الناس من عبادة العباد الى عبادة الله وحده. وتتوالى الفتوحات في خلافة أمير المؤمنين عمر، فيفتح العراق وبلاد فارس والشام ومصر واطراف من افريقية.. ففي وقعة اليرموك انتصر المسلمون وكان عددهم ثلاثين ألفاً على الروم الذين وصل عددهم الى مائة الف. وانتصر المسلمون في القادسية بقيادة سعد بن ابي وقاص على الفرس بقيادة رستم الذين وصل عددهم الى ستين الفاً. وهكذا فتحت الأهواز والموصل والسوس وتستر والرها ونصيبين. وقد فتحت مصر -ايضاً- بقيادة عمرو بن العاص، وفتحت الجزيرة وأرمينية، ثم فتحت بعد ذلك اذربيجان وجرجان ونهاوند واصطخر.. والدينور وهمذان وغير ذلك من البلاد.. وهكذا انتشر الإسلام في هذه الارجاء الواسعة، وعلت راية الإسلام فيها، وكان حسن اختيار القادة من أمير المؤمنين عمر عاملاً مهماً من عوامل فتح هذه الأقطار، فوق روح الجهاد التي كان يتحلى بها المسلمون آنذاك.!

من وصايا أمير المؤمنين عمر لقوّاده

هناك وصايا تكتب بماء الذهب -كما يقال- أوصى بها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عدداً ممن كان يؤمّرهم في الحروب، ومن هذه الوصايا ما يأتي:

١ – لمّا أمّر عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سعد بن أبي وقاص على حرب العراق أوصاه بالوصية الآتية: (يا سعد، سعدُ بني وُهَيْب، لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله ﷺ وصاحب رسول الله؛ فإن الله – عز وجل – لا يمحو السيء بالسيء، ولكنه يمحو السيء بالحسن، فإن الله ليس بينه وبين احد نسب إلا طاعته؛ فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء؛ الله ربهم وهم عباده، يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عنده بالطاعة. فانظر الأمر الذي رأيت النبي ﷺ عليه منذ أن بُعث الى أن فارقنا فالزمه فإنه الأمر. هذه عظتي إياك: إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك، وكنت من الخاسرين)[١].

٢ – ولما وَّلى ابا عبيدة على جند خالد كتب الى ابي عبيدة بالوصية الآتية:

(أوصيك بتقوى الله الذي يبقى ويفنى ما سواه؛ الذي هدانا من الضلالة، واخرجنا من الظلمات الى النور. وقد استعملتك على جند خالد بن الوليد، فقم بأمرهم الذي يحق عليك: لا تقدم المسلمين الى تهلكة رجاء غنيمة، ولا تنزلهم منزلاً قبل أن تستريده لهم (أي تبعث إليه الرواد)، وتعلم كيف مأتاه؛ ولا تبعث سرية إلاَّ في كثف من الناس (أي جماعة من الناس)؛وإياك والقاء المسلمين في الهلكة، وقد أبلاك الله بي وأبلاني بك؛ فغمض بصرك عن الدنيا، وألْهِ قلبك عنها، وإياك أن تهلكك كما أهلكت من كان قبلك، فقد رأيت مصارعهم)[٢].

٣ – كتب أمير المؤمنين الى أبي موسى الاشعري كتاباً جاء فيه:

(إن للناس نفرة عن سلطانهم، فأعوذ بالله أن تدركني وإياك عمياء مجهولة، وضغائن محمولة، أقم الحدود ولو ساعة من نهار. وإذا عرض لك أمران أحدهما لله والآخر للدنيا؛ فآثر نصيبك من الله؛ فإن الدنيا تنفد والآخرة تبقى. وأخيفوا الفساق، واجعلوهم يداً يداً،

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٤٨٣.

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٤٣٤.

ورجلاً رجلاً. وعُدْ مرضى المسلمين، واشهد جنائزهم، وافتح لهم بابك، وباشر أمورهم بنفسك؛ فإنما انت رجل منهم؛ غير ان الله جعلك أثقلهم حملاً. وقد بلغني أنه فشا لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها. فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة، مرّت بوادٍ خصيب، فلم يكن لها هم إلا السِّمَن، وإنما حتفها في السِّمَن، واعلم أن العامل اذا زاغ زاغت رعيته. وأشقى الناس من شقي الناس به. والسلام)[1].

أمير المؤمنين عمر في عام الرمادة

الحاكم المسلم لا يعرف طعم الراحة ولا لذة النوم إذا أصيبت الأمة في عهده بجائحة او نكبة او مصيبة حتى تنكشف. وخير من مثَّل هذا بعد رسول الله ﷺ وأبي بكر الصديق هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ففي السنة الثامنة عشرة من الهجرة، أصابت دولة الخلافة في المدينة والحجاز قحط شديد. وقد اصطلح الناس على تسمية ذلك العام باسم (عام الرمادة). ولم يقف أمير المؤمنين عمر مكتوف اليدين أمام ما حدث؛ فكتب الى الأمصار يطلب منهم الإستغاثة: فكتب الى عمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان وسعد بن أبي وقاص، يطلب منهم أن يرسلوا اليه ما يستطيعون إرساله من الطعام لإغاثة الناس؛ فأرسل كل واحد منهم كميات كثيرة من الدقيق والدهن والكساء. وما إن بدات طلائع الإغاثة تصل حتى استعان أمير المؤمنين بمن كان معه لينحروا الإبل، ويقوموا بطبخ الطعام وتوزيع الكساء على الناس، وهكذا كان. وقد شارك أمير المؤمنين بنفسه في توزيع الطعام: فكان يحمل على ظهره جرابين، وعكة سمن في يده، ويقوم يطبخ لهم ويطعمهم، ويتعاهد مرضاهم، وكان يكثر من صلاة الليل ويدعو الله أن يكشف الغمة عن المسلمين. قال اسلم:

(١) مجموعة الوثائق السياسية. لمحمد حميد الله ص٤٣٦- ٤٣٧، الطبعة الثامنة ١٤٣٠- ٢٠٠٩، دار النفائس، بيروت.

(كنا نقول: لو لم يرفع الله المحل عام الرمادة، لظننا أن عمر يموت هماً بأمر المسلمين)[1].

وقد يسأل سائل: كيف كان طعام عمر والناس يعانون من الفقر المدقع؟ لقد شارك عمر الناس فيما اصابهم، وربما تحمّل من الجهد أكثر مما تحمّل فقراء المسلمين. وإذا اصاب الجوع واحداً من المسلمين شاركه فيما أصابه. وهذه أمثلة ثلاثة من عشرات الأمثلة: روى يحيى بن سعيد بن محمد بن يحيى بن حبان قال: (أُتي عمر بن الخطاب بخبز مفتوت بسمن عام الرمادة، فدعا رجلاً بدوياً فجعل يأكل معه، فجعل البدوي يتبع باللقمة الودك (أي بالسمن) في جانب الصحفة، فقال له عمر: كأنك مقفر من الودك. فقال: أجل، ما أكلت سمناً ولا زيتاً ولا رأيت آكلاً له منذ كذا وكذا الى اليوم، فحلف عمر لا يذوق لحماً ولا سمناً حتى يحيا الناس)[2].

وقد أوفى أمير المؤمنين بما الزم به نفسه: فلم يذق لحماً ولا سمناً حتى أخصب الناس.

وهذا مثال ثانٍ يرينا كيف كان يعيش أمير المؤمنين عمر عام الرمادة:

روى عبد الله بن زيد بن اسلم عن أبيه عن جده قال: (كان عمر يصوم الدهر. قال: فكان زمان الرمادة إذا امسى أُتي بخبز قد ثُرد بالزيت الى أن نحروا يوماً من الأيام جزوراً فأطعمها الناس، وغرفوا له طيبها، فأُتي به فإذا فدر (قطعة) من سنام ومن كبد؛ فقال: أنى هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين من الجزور التي نحرناها اليوم، قال: بخ بخ بئس الوالي أنا إن أكلت طيبها، واطعمت الناس كراديسها (أي رؤوس عظامها)؛ إرفع هذه الجفنة، هات لنا غير هذا الطعام. قال: فأُتي بخبز وزيت، قال: فجعل يثرد ويكسر ذلك الخبز، ثم قال: ويحك يا يرفأ (اسم غلامه)! إحمل هذه الجفنة تاتي بها أهل بيت بثمغ (موضع وقف عمر)؛ فإني لم آتهم منذ ثلاثة ايام، واحسبهم مقفرين، فضعها بين أيديهم)[3].

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٩٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٩١. طبعة الخانجي.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٩٠، طبعة الخانجي، والرياض النضرة للمحب الطبري ١/ ٣٨٥.

أما المثال الثالث فما ذكره الطبري قال:

(أصابت الناس في إمارة عمر رضي الله عنه سَنَةٌ بالمدينة وما حولها، فكانت تسفى اذا ريحت (أي أصابتها الريح) تراباً كالرماد؛ فسمي ذاك العام عام الرمادة؛ فآلى عمر ألّا يذوق سمناً ولا لبناً ولا لحماً حتى يحيا الناس من أول الحيا، فكان بذلك حتى احيا الناس من أول الحيا، فقدمت السوق عكةٌ من سمن ووطب من لبن فاشتراهما غلام عمر باربعين، ثم اتى عمر فقال: يا أمير المؤمنين، قد ابرَّ الله يمينك، وعظَّم أجرك، قدم السوق وطب من لبن، وعكة من سمن؛ فابتعتهما بأربعين؛ فقال عمر: أغليت بهما؛ فتصدق بهما؛ فإني أكره ان آكل إسرافاً وقال: كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسسني ما مسّهم؟!!)[1]

ولقد كان رضي الله عنه في تلك السنة خاصة يكثر من الدعاء أن يغيث الله الناس، ويفرِّج عنهم المحل، فكان يبكي والناس معهم يبكون، وكان من دعائه:

اللهم لا تجعل هلاك أمّة محمد ﷺ على يدي!

ومن ذلك الدعاء: اللهم لا تهلكنا بالسنين، وارفع عنا البلاء.![2]

(ولّما أجمع عمر على أن يستسقي ويخرج بالناس، كتب الى عماله ان يخرجوا يوم كذا وكذا، وان يتضرعوا الى ربهم، ويطلبوا اليه أن يرفع هذا المحل عنهم، قال: وخرج لذلك اليوم عليه بُرْدُ رسول الله ﷺ حتى انتهى الى المصلى، فخطب الناس وتضرّع، وجعل الناس يلحّون، فما كان أكثر دعائه إلا الإستغفار، حتى إذا قرب أن ينصرف، رفع يديه مداً، وحوّل رداءه، وجعل اليمين على اليسار، ثم اليسار على اليمين، ثم مدَّ يديه، وجعل يلحُ في الدعاء، وبكى عمر بكاءاً طويلاً حتى اخضل لحيته[3]).

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٩٨.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٩٧.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٩٨.

أولياته

هناك أمور ابتكرها وأحدثها أمير المؤمنين في خلافته لم تكن معروفة من قبل؛ استناداً الى المصلحة المرسلة. فهو أول من اتخذ التاريخ الهجري، وأول من وضع الخراج على الأراضي المفتوحة، وأول من اتخذ بيتاً لمال المسلمين، وأول من اتخذ الدواوين، وأول من ضرب على شرب الخمر ثمانين جلدة، وأول من تولى القضاء ولّاه أبو بكر الصديق ليفصل بين الناس فيما يختلفون فيه،؛ فهو اول قاضٍ في الإسلام؛ وأول من استقضى القضاة على الأمصار، وأول من عاقب على الهجاء، وأول من تسمى بأمير المؤمنين، واول من حمل الدِّرة وادَّب بها.

من عدالة عمر بن الخطاب

١ – أخرج البيهقي عن جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلاً كان مع ابي موسى الاشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فغنموا مغنماً، فاعطاه ابو موسى نصيبه ولم يوفه، فأبى أن يأخذ إلا جميعه، فضربه ابو موسى عشرين سوطاً وحلق رأسه. فجمع شعره، وذهب به الى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأخرج شعراً من جيبه فضرب به صدر عمر. قال: مالَكَ؟ فذكر قصته، فكتب عمر الى أبي موسى: (سلام عليك، أما بعد: فإن فلاناً بن فلان أخبرني بكذا وكذا، وإني أقسم عليك إن كنت فعلت ما فعلت في ملأ من الناس إلا جلست له في ملأ من الناس فاقتصَّ منك، وإن كنت فعلت ما فعلت في خلاء؛ فاقعد له في خلاء ليقتص منك). فلما دفع اليه الكتاب؛ قعد ابو موسى للقصاص. فقال الرجل: قد عفوت عنك لله[1].

(١) جامع الأحاديث للسيوطي ١٤/ ٤٥٧، والخليفة العادل عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص٦٨-=

٢ – كتب عمر بن الخطاب الى عامله ابي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول:

(قد بلغ أمير المؤمنين انه فشا لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك، ليس للمسلمين مثلها، فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة التي مرّت بوادٍ خصيب فلم يكن لها همة إلا السمن، وإنما حتفها في السمن. واعلم أن للعامل مرداً الى الله، فإذا زاغ العامل زاغت رعيته، وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته والسلام)[1].

٣ – كان معيقيب على بيت مال المسلمين، فكسح بيت المال يوماً فوجد فيه درهماً؛ فدفعه الى ابن صغير لعمر. قال معيقيب: ثم انصرفت الى بيتي، فإذا رسول عمر قد جاء يدعوني، فجئت فإذا الدرهم في يده، فقال: ويحك يا معيقيب، أَوَجَدْتَ عليَّ في نفسك شيئاً؟ او مالي ولك؟

قلتُ: وما ذاك؟ قال: أردت ان تخاصمني أمة محمد في هذا الدرهم يوم القيامة؟[2]

تفقده أحوال الرعية

كان أمير المؤمنين يشعر بحقيقة المسؤولية امام الله تبارك وتعالى منذ أن عهدت إليه إمرة المؤمنين، فكان يتفقد أحوال الناس، ويسهر على مصالحهم، ولا يشعر بالراحة إلا بعد ان يطمئن الى راحة الرعية، ومن أقواله المأثورة التي سارت بذكرها الركبان: لو أن عنزاً عثر في سواد العراق لخشيت أن يسألني الله عنها لِمَ لَمْ أسوِ لها الطريق.! وهذه نماذج من تفقده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحوال الرعية:

= ٦٩، الطبعة الأولى ٢٠٠٤، دار الإسراء، عمان.

(١) البيان والتبيين للجاحظ ١/ ٣٥٨، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت.

(٢) التذكرة الحمدونية لابن حمدون محمد بن الحسن بن محمد بن علي ١/ ١٤٣، والخليفة العادل عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص٧٥، طبعة دار الإسراء، الأردن.

حدّث أسلم خادم عمر بن الخطاب قال: خرجت مع عمر ليلة وبعدنا عن المدينة ونحن نتفقد أهل المنازل النائية، فبصرنا بنار من بعيد،فقال عمر: إني أرى ههنا ركباناً قصر بهم الليل والبرد؛ انطلق بنا. فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم، فإذا بامرأة معها صبيان وقدر منصوبة على نار، وصبيانها يتضاغون (أي يتصايحون ويبكون)، فسلّم عمر: ثم سأل المرأة: ما بالكم؟ قالت: قصر بنا الليل والبرد. قال: وما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟ قالت: الجوع. قال: وأي شيء في هذا القدر؟ قالت: ماء اسكتهم به حتى يناموا... والله بيننا وبين عمر (تشكو عمر وتدعو عليه). فقال: أيْ رحمك الله، وما يدري عمر بكم؟ قالت: يتولى امرنا ثم يغفل عنا؟ فأقبل عليَّ فقال: انطلق بنا، فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق، فأخرج عدلاً من دقيق، وكبة من شحم وقال: احمله عليّ؛ قلت: أنا احمله عنك؛ قال: انت تحمل وزري يوم القيامة لا أمّ لك، فحملته عليه، فانطلق وانطلقت معه اليها نهرول، فألقى ذلك عندها، واخرج من الدقيق شيئاً، فجعل يقول لها: ذُّري عليَّ وأنا أحرك لك، وجعل ينفخ تحت القدر، وكانت لحيته عظيمة؛ فرأيت الدخان يخرج من خلال لحيته، حتى طبخ لهم، ثم انزلها وقال: أبغني شيئاً، فأتته بصحفة، فافرغها فيها، فجعل يقول لها: أطعميهم وانا أسطح لهم (أي أبسطه حتى يبرد)، فلم يزل حتى شبعوا، وترك عندها فضل ذلك وقام وقمت معه، فجعلت تقول: جزاك الله خيراً كنت بهذا الأمر أولى من أمير المؤمنين! فيقول: قولي خيراً إذا جئت أمير المؤمنين، وجدتني هناك إن شاء الله، ثم تنحى ناحية عنها، ثم استقبلها فربض مربضاً؛ فقلت له: إن لك شأناً غير هذا؟ ولا يكلمني، حتى رأيت الصبية يصطرعون ثم ناموا وهدأوا؛ فقال: يا أسلم، إن الجوع اسهرهم وابكاهم؛ فأحببت ان لا أنصرف حتى ارى ما رأيت[1].

(١) من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعي ص٥٨- ٥٩، الطبعة الثانية ١٣٨٨- ١٩٦٨، دار الإرشاد، بيروت. وأصل هذه الرواية رواها الإمام احمد بن حنبل في كتابه فضائل الصحابة حديث ٣٨٤ في الصفحة ٩٦- ٩٧. والرياض النضرة للمحب الطبري ١/ ٣٨٥، والخليفة العادل عمر بن الخطاب=

وما أجمل صورة هذا المشهد في شعر حافظ ابراهيم:

ومَنْ رآه أمام القدر منبطحاً
والنار تأخذ منه وهو يُذكيها
وقد تخلل في أثناء لحيته
منها الدخان، وفوهُ غابَ في فيها[1]
رأى هناك أمير المؤمنين على
حال تروع - لعمر الله - رائيها
يستقبل النار خوف النار في غَدهِ
والعين من خشية سالت مآقيها[2]

٢ - كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتفقد أحوال الناس، فمرّ برحبة من رحاب المدينة فإذا ببيت شعر ينبعث منه انين امرأة، وعلى بابه رجل قاعد، فسلَّم عليه عمر، وسأله من هو؟ فأجابه أنه رجل من البادية جاء يصيب من فضل أمير المؤمنين؛ فقال عمر: ما هذا الصوت الذي اسمعه في البيت؟ قال الرجل - وهو لا يدري أنه عمر أمير المؤمنين- : انطلق رحمك الله لحاجتك ولا تسأل عمّا لا يعنيك، فالحّ عليه عمر يريد معرفة الأمر؛ فأجابه: امرأة تمخّض (أي على وشك الولادة) وليس عندها أحد؛ فعاد عمر الى منزله وقال لامرأته ام كلثوم بنت

= لابن الجوزي ص٥٢ طبعة دار الإسراء، الأردن.

(١) أي فمه غاب في فم النار وهو ينفخها.

(٢) ديوان حافظ ابراهيم ١/ ٩٢- ٩٣، صححه احمد أمين واحمد الزين وابراهيم الأبياري، الناشر: محمد امين دمج، ١٩٦٩، بيروت.

علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هل لك في أجر ساقه الله اليك؟ قالت: وما هو؟ فاخبرها الخبر، وأمرها أن تأخذ معها ما يحتاج اليه الوليد الجديد من ثياب وما تحتاج اليه المرأة من دهن، وأن تأخذ معها قدراً، وتضع فيه حبوباً وسمناً. فجاءت به، فحمل القدر ومشت خلفه حتى انتهى الى البيت، وقال لامرأته: أدخلي الى المراة وجلس هو مع الرجل، وأوقد النار وطبخ ما جاء به، والرجل جالس لا يعلم من هو. وولدت المرأة، فقالت زوجة عمر من داخل البيت: بشِّر يا أمير المؤمنين صاحبك بغلام.! فلما سمع الأعرابي ذلك علم انه مع أمير المؤمنين، فكأنه هابه؛ فأخذ يبتعد عنه وعمر يقول له: مكانك كما أنت، ثم حمل القدر وأمر زوجته أن تأخذه لتطعم المرأة. فلما أكلت ناول الرجل القدر وقال له: كل ويحك، فإنك سهرت الليل كله، ثم خرجت زوجته، وقال للرجل: إذا كان غداً فأْتنا نأمر لك بما يصلحك. فلما أصبح أتاه؛ ففرض لأبنه في الذرية وأعطاه[1].

٣ – روى يحيى بن عبد الله الأوزاعي أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج في سواد الليل، فرآه طلحة، فذهب عمر فدخل بيتاً، ثم دخل آخر. فلما أصبح طلحة ذهب الى ذلك البيت، فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال لها ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى، فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة! أعثرات عمر تتبع[2]؟!.

٤ – روى المحب الطبري أن عمر لما رجع من الشام الى المدينة انفرد عن الناس ليعرف أخبارهم، فمرَّ بعجوز في خباها فقصدها فقالت: يا هذا، ما فعل عمر؟ قال: هو ذا قد أقبل من الشام. قالت: لا جزاه الله عني خيراً، قال: ويحك! ولمَ؟ قالت والله لأنه ما نالني من عطائه منذ ولي الى يومنا هذا دينار ولا درهم. فقال: ويحك ما يدري عمر حالك وأنت

(١) من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعي ص٥٩– ٦٠، وذكرها ابن كثير في البداية والنهاية ٧/ ١٣٢، بلفظ مقارب.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٨٤ ط٣. والرياض النضرة ١/ ٣٩١.

في هذا الموضع؟ فقالت: سبحان الله! ما ظننت أن أحداً يلي على الناس ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها. قال: فاقبل عمر وهو يبكي ويقول: واعمراه! واخصوماه! كل واحد أفقه منك يا عمر، ثم قال لها: بكم تبيعيني ظلامتك منه فإني أرحمه من النار؟ قالت: لا تهزأ بنا يرحمك الله، قال لها عمر: لست بهزاء، فلم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين ديناراً، فبينا هو كذلك، إذ أقبل علي بن أبي طالب وابن مسعود فقالا: السلام عليك يا أمير المؤمنين! فوضعت المرأة يدها على رأسها وقالت: واسوأتاه! شتمت أمير المؤمنين في وجهه؛ فقال لها عمر: لا عليك يرحمك الله؛ ثم طلب عمر قطعة جلد يكتب فيه فلم يجد، فقطع قطعة من فروة كان لبسها وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولي الى يومنا هذا بخمسة وعشرين ديناراً، فما تدّعي عند وقوفي في المحشر بين يدي الله عز وجل، فعمر منه برئ. شهد على ذلك: علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، ثم دفع الكتاب الى علي وقال: إذا أنا تقدمتك – أي متّ قبلك – فاجعلها في كفني[1].

عمر بن الخطاب وحرية الرأي

خلق الله عز وجل الإنسان وكرّمه، ونصَّ في كتابه الكريم على ذلك التكريم، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ الإسراء: ٧٠.

ولا يتصور هذا التكريم للإنسان إلا إذا تحققت الحرية للإنسان – ومنها حرية الرأي– وانتهاك حرية الرأي هذه تعد جريمة من الجرائم؛ لأنها قد تؤدي – في قسم من الحالات– الى ضرر أشد من ضرر قتل الإنسان بازهاق حياته. وقد نصَّ القرآن الحكيم على هذه القضية

(١) الرياض النضرة للمحب الطبري ١/ ٣٩٠- ٣٩١.

فقال: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ البقرة: ١٩١.

ولم يشرع الجهاد في الإسلام في الأصل إلا من أجل الحفاظ على الحريات – ومنها الحفاظ على حرية الرأي – وقد صرّح القرآن الحكيم بذلك – ايضاً – فقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ الأنفال: ٣٩.

وهل الفتنة هنا إلا الإكراه والإجبار على عقائد وأفكار معينة، وحرمان الإنسان من الحرية بشكل او أكثر من أشكالها ومنها حرية الرأي؟.

فحرية الرأي في الإسلام إذن ليست من المباحات التي يقوم بها من يشاء ويتركها من يشاء، فهي قد تكون حقاً لله تعالى على الإنسان يجب عليه أن يقوم به، ولا يخشى من ذلك او يخاف.

لقد أعطى الإسلام الناس حرية الرأي؛ لأنَّ الإنسان ليس بمعصوم، وليست العصمة لفرد من الأفراد، ولا لجماعة من الجماعات، ولا لتنظيم من التنظيمات بعد أن انتقل النبي ﷺ الى جوار ربه، فإنه – عليه السلام – وحده المعصوم فيما يبلغ عن الله تعالى. فليس لأحد أن يحتكر الحق الإلهي، ويتحدث نيابة عن الله، ويحتكر أحكامه وتعليماته.

هكذا ربى النبي ﷺ صحابته على الجرأة في إبداء الرأي بكل شجاعة من غير خوف، وقد قال النبي ﷺ: [إذا رأيت أمتي لا يقولون للظالم منهم: أنت ظالم، فقد تُوُدِّعَ منهم[1]].

وقال: [سيد الشهداء يوم القيامة: حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام الى إمام جائر؛ فأمره ونهاه فقتله][2].

ولقد أدرك هذه الحقيقة بثاقب بصيرته أمير المؤمنين عمر بن الخطاب؛ فدعا الناس الى

(١) رواه الإمام احمد في مسنده ٦/ ٣٠٥- ٣٠٦، حديث ٦٧٧٦، والحاكم في كتاب الأحكام، حديث ٧٠٣٦ وغيرهما.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني رقم ٣٥٠٦، والطبراني في الأوسط ٣/ ١٢٨، حديث ٤٠٧٩، بتحقيق محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشافعي.

إبداء آرائهم فيه وفي حكمه. ولمَ الخوف من حرية الرأي إذا كان الحاكم يحكم بالعدل، ويحقق المساواة بين الناس؟! فكانت حرية الرأي المخلصة الهادفة سمةً من سمات حكمه: فكان أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصغي لما يقوله الناس فيه: فلا يضجر، ولا يضيق صدره بما يقولون، وينظر في حاله: فإن كان في تصرفاته خلل قام بسدِّه، وإن كانت صحيحة سليمة بيَّن للناس ذلك، ولا عجب، فهو صاحب القول المشهور: رحم الله امرءاً أهدى إليَّ عيوبي. وفيما يأتي أمثلة قليلة على ذلك:

١ – قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ رأى منكم فيَّ إعوجاجاً فليذَكِّرني؛ فقام اليه بلال او سلمان فقال: (لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناك بسيوفنا[١]).

٢ – وروي أنه قال يوماً على المنبر: يا معاشر المسلمين، ماذا تقولون لو مِلتُ برأسي الى الدنيا هكذا (ومَيَّلَ رأسه)؟

فقام اليه رجل، فسلَّ سيفه وقال: أجل كنا نقول بالسيف هكذا (وأشار الى قطعه)!

فقال: إياي تعني بقولك؟

قال: نعم، إياك أعني بقولي! فنهره عمر ثلاثاً وهو ينهر عمر!.

فقال عمر: رحمك الله! الحمد لله الذي جعل في رعيتي من إذا تعوّجت قوَّمني[٢].

٣ – وجاءه رجل يوماً وقال له على رؤوس الأشهاد: اتق الله يا عمر! فغضب بعض الحاضرين من قوله، وأرادوا أن يسكتوه عن الكلام؛ فقال لهم عمر: لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نسمعها[٣].

---

(١) كفاية الطالب الرباني تأليف: ابي الحسن المالكي ١/ ١٥٣، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، ١٤١٢، دار الفكر، بيروت.

(٢) الرياض النضرة للمحب الطبري ١/ ٣٨١.

(٣) عمر بن الخطاب تأليف د. علي محمد محمد الصلابي ص١٣٠، نقلًا عن نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين تأليف: حمد الصمد ص٢٠٠.

٤ – بُعِثَ الى أمير المؤمنين عمر بحلل فقسمها، فأصاب كل رجل ثوباً؛ فصعد عمر المنبر وعليه حلّة (أي ثوبان) فقال: يا أيها الناس ألا تسمعون؟! فقال سلمان: لا نسمع.!

قال عمر: ولِمَ يا ابا عبد الله؟

قال: لأنك قسمت علينا ثوباً ثوباً وعليك حُلّة.

قال: لا تعجل يا أبا عبد الله.

ثم نادى: يا عبد الله. فلم يجبه أحد.

فقال: يا عبد الله بن عمر.

قال: لبيك يا أمير المؤمنين.

قال: نشدتك بالله، الثوب الذي ائّتزرت به هو ثوبك؟

قال: اللهم نعم.

فقال سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أما الآن فقل نسمع[١].

٥ – سأل عمر بن الخطاب من كان في مجلسه قائلاً:

ما قولكم لو أن أمير المؤمنين شاهد امرأة على معصية؟ (يعني أتكفي شهادته)؟

فقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يأتي بأربعة شهداء، او يجلد حد القذف، شأنه في ذلك شأن سائر المسلمين[٢].

٦ – عن أسيد بن حضير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [إنكم ستلقون بعدي أثره] فلما كان زمان عمر قسم حللاً، فبعث إليَّ منها بحلّة، فاستصغرتها فاعطيتها ابني. فبينما انا أصلي إذ مر بي شاب من قريش عليه حلة من تلك الحلل يجرها، فذكرت قول رسول الله ﷺ [إنكم ستلقون بعدي أثره] ، فقلت: صدق رسول الله ﷺ. فانطلق رجل الى عمر فأخبره، فجاء وأنا أصلي فقال: صَلِّ يا أسيد. فلما قضيت صلاتي قال: كيف قلت؟

(١) عيون الأخبار لأبن قتيبة ١/ ٥٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣، القاهرة.

(٢) حرية الرأي في الشريعة الإسلامية د. محمد عبد القادر ابو فارس ص٤٨.

فأخبرته، قال: تلك حلة بعثت بها الى فلان وهو بدري أُحُدي، عُقبي، فأتاه هذا فابتاعها منه فلبسها، فظننت أن ذلك يكون في زماني؟! قلت: قد والله يا أمير المؤمنين ظننتُ أن ذلك لا يكون في زمانك[1].

٧ – قال سعيد بن عامر وهو من أصحاب النبي ﷺ لعمر بن الخطاب:

إني أريد أن أوصيك يا عمر. قال: أجل فأوصني.

قال: أوصيك أن تخشى الله في الناس، ولا تخشَ الناس في الله، ولا يختلف قولك وفعلك؛ فإن خير القول ما صدقه العمل، ولا تقض في أمر واحد بقضاءين فيختلف عليك أمرك، وتزيغ عن الحق، وخُذ بالأمر ذي الحجة تأخذ بالفلج، ويعينك الله، ويصلح رعيتك على يديك، واقم وجهك وقضاءك لمن ولاك الله امره من بعيد المسلمين وقريبهم، وأحبّ لهم ما تحب لنفسك وأهل بيتك، واكره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك، وخُض الغمرات الى الحق، ولا تخف في الله لومة لائم.

فقال عمر: من يستطيع ذلك؟

قال سعيد: مثلك، من ولّاه الله أمر أمة محمد، ثم لم يحل بينه وبين الله أحد[2].

ضوابط لحرية الرأي

إن أمير المؤمنين عمر منفّذ لكل ما جاء به الإسلام، ومن ذلك: دعوته الى حرية الرأي،

---

(١) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلي المتقي الهندي ١٢/ ٦٦٧– ٦٦٨، رقم ٣٦٠٢٠، الطبعة الأولى، ١٣٩١– ١٩٧١ مكتبة التراث الإسلامي، حلب.

والمُراد ببدري: أنه من المسلمين المشتركين في غزوة بدر.

والمُراد بالأُحُدي: أنه من المشتركين في غزوة أُحُد.

والمُراد بالعقبي: أنه حَضَر بيعة العقبة الكبرى.

(٢) كنز العمال ١٢/ ٥٨٠– ٥٨١، رقم ٣٥٨٠٧.

لكن هذه الحرية محاطة بسياج من القدسية خشية أن يتهاون الناس فيها، فهي حرية مضبوطة، فلم يحجر إلا على الآراء التي تؤدي الى إثارة الفتن وسفك الدماء، او تؤدي الى ضرر أكثر من النفع، ومن تلك الضوابط: أن يكون الرأي على وفق ثوابت الإسلام، فلا يخرج عنها بحجة حرية الرأي، وأن يجهر برأيه في أدب، فلا يتحدث بالبذيء من القول[1].

العلاقة بين عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

لما عهد أبو بكر بالخلافة لعمر، تقبّل ذلك العهد علي بقبول حسن، وبادر الى مبايعته، وقد روي عن سيدنا علي قوله: (تولاها عمر فأخذها بسنة صاحبه وما يعرف من امره، فبايعنا عمر، ولم يختلف عليه منا اثنان...)[2].

وكان سيدنا علي يعرف مكانة عمر وقابلياته في تدبير شؤون الخلافة؛ فحرص على معاونته والوقوف معه، وقدّم له كثيراً من المشورة في مجالات عديدة، وقد أخذ عمر بمشورته.

لقد كان سيدنا علي معجباً بشخصية عمر حتى قال: (كنا نتحدث أن ملكاً ينطق على لسان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)[3].

وقال: (ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)[4].

وفي الوقت نفسه، كان أمير المؤمنين عمر يعرف لسيدنا علي منزلته الرفيعة وعلمه

(١) لزيادة الإطلاع وتبيان الضوابط الأخرى ينظر كتابنا: أصول التشريع الدستوري في الإسلام ص٢٠٦- ٢٠٩ الطبعة الأولى، طبعة ديوان الوقف السني في العراق.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٤٠.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم ١/ ٧٧، الطبعة الثالثة.

(٤) حلية الأولياء ١/ ٧٧، الطبعة الثالثة.

الواسع، فكان يستشيره في كثير من الأمور. يقول العلامة شبلي النعماني في كتابه (الفاروق) تحت عنوان: (رعاية الحقوق والآداب بين الآل والأصحاب):

(أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يكن يبتّ برأي في مهمات الأمور قبل أن يستشير علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي كان يشير عليه بغاية من النصح ودافع من الإخلاص[1]) .

وهكذا نرى الثقة المتبادلة بينهما في صورة من أجمل الصور، ونرى التناصح وتبادل الرأي والتعاون على البر والتقوى، فظل سيدنا علي الظهير والعضد القوي لأمير المؤمنين عمر في إدارة شؤون الخلافة، وهذا مثال على ذلك:

لّما رحل أمير المؤمنين سيدنا عمر الى القدس ليتسلم مفاتيح بيت المقدس، استخلف على المسلمين سيدنا علياً. وقد كان علي يعرف مكانة عمر؛ فزوّجه بنته ام كلثوم بنت فاطمة. قال ابو جعفر الطبري: (تزوّج عمر بن الخطاب ام كلثوم بنت علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأمها فاطمة بنت رسول الله... فولدت له رقية وزيداً[2]).

وقد سمى سيدنا علي أحد ابنائه بعد الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية باسم عمر وهو عمر الأكبر وأمه الصهباء[3]، وسمَّى ولديه الآخرين أحدهما باسم أبي بكر، والآخر باسم عثمان، وذلك لشدة حبه لهما.

ولما تجمعت جموع الأعاجم في (نهاوند)، وكان تعدادهم مائة وخمسين الف مقاتل، كتب سعد بن أبي وقاص –وكان قائداً لجيش المسلمين – الى عمر بذلك، ثم شافهه به لما قدم عليه، فكان من رأي أمير المؤمنين عمر أن يقود المعركة بنفسه، لكن علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يوافقه الرأي، وأشار عليه بعدم مغادرته المدينة، وان يكل القيادة الى غيره؛ خشية ان يصاب أمير المؤمنين،

(١) المرتضى لأبي الحسن الندوي ص١١٩.

(٢) الكامل في التاريخ لأبن الأثير ٢/ ٤٥٠، تحقيق عبد الله القاضي، الطبعة الثانية ١٤١٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ١١٧، والمنتخب من ذيل المذَّيل للطبري ١/ ١٤٨.

فيضطرب أمر المسلمين، ولم يجتمع لهم شمل بعد ذلك. وقد أخذ عمر برأي عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وهكذا – ايضاً – الأمر في معركة اليرموك: فقد تجمعت سيولهم من البر والبحر. واقترح عبد الرحمن بن عوف أن يتولى قيادة الجيش أمير المؤمنين عمر، ولم يرق ذلك الرأي لسيدنا علي؛ مبيناً أن المسلمين لو خسروا المعركة وقائدها أمير المؤمنين عمر، لم يبق للمسلمين من يلجؤون اليه[1]، وأخذ سيدنا عمر بما أشار اليه سيدنا علي.

أن هذه الحوادث وأمثالاً لها لتدل دلالة واضحة على الصلة القوية المتينة بينهما.

أما الأماكن التي ليس فيها خطر على أمير المؤمنين عمر، فكان سيدنا علي يشير اليه بالحضور فيها: ففي فتح بيت المقدس طالب النصارى أن يسلموا مفاتيح المسجد الأقصى المبارك بيد أمير المؤمنين عمر، وقد أشار قسم من كبار الصحابة عليه ان لا يذهب هو بنفسه؛ لأن ذلك أرغم لأنوفهم، لكن علياً أشار إليه بالتوجه الى القدس؛ لأن فيه تخفيفاً على المسلمين، وهكذا كان، فأخذ عمر برأي علي، واستخلفه على المسلمين، وتوجه في رجب سنة ١٦ هـ الى الشام.

وتروي لنا كتب الحديث أن علياً بن أبي طالب كان كثير الثناء على ابن الخطاب وعلى أبي بكر – ايضاً – فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (وضع عمر على سريره، فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وانا فيهم، فلم يرعني إلا رجل آخذ منكبي فإذا علي فترحم على عمر وقال: ما خلفت أحداً أحبّ اليّ أن القى الله بمثل عمله منك. وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت اني كنت كثيراً أسمع النبي ﷺ يقول: ذهبت انا وأبو بكر وعمر، ودخلت انا وأبو بكر وعمر، وخرجت انا وأبو بكر وعمر)[2].

---

(١) ينظر كلام سيدنا علي في (نهج البلاغة) ص ٢٢٣، بتحقيق: احمد جاد، الطبعة الأولى ١٤٢٧ – ٢٠٠٦، دار العهد الجديد، القاهرة.

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، حديث ٣٦٨٥، صحيح البخاري ص٩٣٤ ومسلم في كتاب فضائل الصحابة حديث ٢٣٨٩، صحيح مسلم ٤/ ١٨٥٨ – ١٨٥٩.

قال الإمام النووي: (وفي هذا الحديث فضيلة أبي بكر وعمر، وشهادة علي لهما، وحسن ثنائه عليهما، وصدق ما كان يظنه بعمر قبل وفاته رضي الله تعالى عنهم أجمعين)[1].

ولقد بكى سيدنا علي عند موت عمر. فلما سئل عن ذلك قال: (أبكي على موت عمر؛ ان موت عمر ثلمة في الإسلام لا ترتق الى يوم القيامة)[2].

وعن محمد بن الحنفيةرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلتُ لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر. وخشيت ان يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين[3].

عُمر وآل البيت

ظل عمر بن الخطاب بعد موت النبي ﷺ وفياً لآل بيت النبي، مكرماً لهم، وكان يؤثرهم على أبنائه وأسرته وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

١ – طلب عمر بن الخطاب من الحسين بن علي أن يأتيه قال الحسين: (فأتيته يوماً وهو خالٍ بمعاوية، وابنُ عمر بالباب، فرجع ابن عمر فرجعت معه، فلقيني بعد فقال لي: لم أرَكَ؟ قلت: يا أمير المؤمنين، إني جئت وأنت خالٍ بمعاوية؛ فرجعت مع ابن عمر. فقال: أنت أحق بالإذن من ابن عمر؛ فإنما أنبت ما ترى في رؤوسنا الله ثم أنتم. سنده صحيح وهو

(١) شرح صحيح مسلم للإمام النووي ١٥/ ١٥٨.

(٢) الفتوحات الإسلامية للسيد احمد زيني دحلان ٢/ ٤٢٩، الطبعة الثانية ١٣١١، مكة المكرمة.

(٣) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، حديث ٣٦٧١. صحيح البخاري ص٩٣٠-٩٣١. وابو داؤد في كتاب السنة باب: في التفضيل، حديث ٤٦٢٩، سنن أبي داؤد ص٨٣٦، مكتبة المعارف، الرياض.

عند الخطيب)[1].

٢ - لم يسو سيدنا عمر في العطاء بين المسلمين، وقد قال قولته المشهورة: (لا أجعل مَنْ قاتل رسول الله ﷺ كمن قاتل معه... وفرض لأبناء البدريين الفين الفين. إلا حسناً وحسيناً، فإنه الحقهما بفريضة أبيهما لقرابتهما برسول الله ﷺ، ففرض لكل واحد منهما خمسة آلاف درهم..[2]).

٣ - روى ابن سعد عن جعفر الصادق بن محمد الباقر عن أبيه علي بن الحسين قال:

قدم على عمر حلل من اليمن، فكسا الناس، فراحوا في الحلل، وهو بين القبر والمنبر جالس، والناس يأتونه فيسلمون عليه ويدعون له، فخرج الحسن والحسين من بيت امهما فاطمة رضي الله عنها يتخطيان الناس، وليس عليهما من تلك الحلل شيء، وعمر قاطب صار بين عينيه[3]، ثم قال: والله ما هنألي ما كسوتكم، قالوا: يا أمير المؤمنين كسوت رعيتك فأحسنت! قال: من أجل الغلامين يتخطيان الناس، وليس عليهما منها شيء ... ثم كتب الى اليمن أن ابعث بحلتين لحسن وحسين وعَجِّل؛ فبعث اليه بحلتين فكساهما[4].

استشهاده

طلب ابو لؤلؤة فيروز -وهو غلام فارسي مجوسي الأصل رومي الدار- من عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يكلم سيده المغيرة بن شعبة في التخفيف عنه، فقد كان فرض عليه المغيرة

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٧٧- ٧٨.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٢٩٦- ٢٩٧.

(٣) أي جامع بينهما كما يفعل الحزين. وأصل الصّر: الجمع والشدة.

(٤) كنز العمال للمتقي الهندي ١٣/ ٢٨٣، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، الطبعة الأولى ١٤١٩- ١٩٩٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن شعبة مائة درهم في الشهر خراجاً- وهو مبلغ ليس بالكثير يفرض على غير المسلمين- وأجابه عمر بكلمة عادلة لكنها لم تُرض أبا لؤلؤة؛ فأضمر له الشر. فلما دخل أمير المؤمنين عمر في صلاة الصبح طعنه بطعنات مسمومة، وطعن معه ثلاثة عشر رجلاً، مات منهم سبعة وعاش الباقون. ولما ألقي القبض عليه وأحس بالخطر انتحر بسكينه. وقد طعن أمير المؤمنين يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة. ونقل سيدنا عمر الى بيته وسأل عمن طعنه؟ فأخبروه؛ فقال: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدّعي الإسلام.

ولما دعي له الطبيب وسقاه نبيذاً خرج من جرحه، ثم شرب لبناً فخرج من جرحه - ايضاً فعلموا أنه ميت.

ولقد أرسل عمر أبنه الى عائشة وقال له: انطلق الى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل أمير المؤمنين، فإني لست اليوم أميراً للمؤمنين، وقل: يستأذن عمر ابن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه. فذهب فسلّم واستأذن، ثم دخل عليها فوجدها تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه؛ فقالت: كنت أريده لنفسي، ولأوثرنه اليوم على نفسي.

وننظر الى سيدنا عمر وهو على فراش الموت، فنراه يتحدث بكلمات قليلة تدل على إيمانه العميق بالله تعالى، وخوفه الشديد منه؛ فكان من آخر كلماته التي تحدث بها قوله:

(والذي نفسي بيده لوددت أني خرجت منها كما دخلت فيها: لا أجر ولا وزر)[1].

وقال: (.. والله، لو أن لي طِلاع الأرض ذهباً لإفتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه)[2].

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٨٩.

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (باب: مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه)، حديث ٣٦٩٢، صحيح البخاري ص٩٣٥.

وروى ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (كان رأس عمر على فخذي في مرضه الذي مات فيه؛ فقال لي: ضع رأسي على الأرض. قال: فقلت: وما عليك كان على فخذي أم على الأرض؟ قال: ضعه على الأرض قال: فوضعته على الأرض فقال: ويلي وويل أمي إن لم يرحمني ربي)[1].

وأوصى ابنه في آخر وصاياه فقال: (إذا قبضت فأغمضني، واقصدوا في كفني؛ فإنه إن يكن لي عند الله خير أبدلني خيراً منه، وإن كنت على غير ذلك سلبني فأسرع سلبي، واقصدوا في حفرتي؛ فإنه إن يكن لي عند الله خير وسَّع لي فيها مدَّ بصري، وإن كنت على غير ذلك ضيقها عليّ حتى تختلف أضلاعي، ولا تخرجنَّ معي امرأة، ولا تزكوني بما ليس فيَّ، فإن الله هو اعلم بي، وإذا خرجتم بي فأسرعوا في المشي: فإنه إن يكن لي عند الله خير قدمتموني الى ما هو خير لي، وإن كنت على غير ذلك كنتم قد القيتم عن رقابكم شرّاً تحملونه)[2].

ومات عمر يوم الأحد، صبيحة المحرّم، سنة أربع وعشرين من الهجرة، وغسله ابنه عبد الله، وكفنه في ثلاثة أثواب، وصلى عليه صهيب الرومي في مسجد رسول الله ﷺ، ودفن الى جانب النبي ﷺ وأبي بكر، وجُعِل رأسه بمحاذاة منتصف أبي بكر، وكان رأس أبي بكر بمحاذاة كتفي رسول الله ﷺ[3].

مات أمير المؤمنين عمر وعمره ثلاث وستون سنة، هو عمر النبي ﷺ، وكانت خلافته عشر سنين، وخمسة اشهر، وواحداً وعشرين يوماً، وقد روى من الأحاديث خمسمائة وستة وثلاثين حديثاً[4]. وأوصى بالخلافة في ستة اشخاص جعلهم شورى، يختارون واحداً منهم وهم: عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام،

(١) حلية الأولياء ١/ ٨٩.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٣٢- ٣٣٣، طبعة الخانجي.

(٣) الخلفاء الراشدون للدكتور أمين محمد القضاة ص٦٩.

(٤) اسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد لابن حزم الأندلسي ص٤٤، تحقيق سيد كسروي حسن، الطبعة الأولى ١٤١٢- ١٩٩٢، دار الكتب العلمية، بيروت.

وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وأوصى أن يحضر عبد الله بن عمر بن الخطاب الإجتماعات لإبداء المشورة، من غير أن يكون له حق الترشيح او التصويت لصالح أحد المرشحين.

لقد جعل عمر الأمر شورى بين هؤلاء الستة كيلا يتحمل العهدة في ذلك أولاً، ولكي يمارس المسلمون الشورى في صورة من أروع صورها ثانياً. وتبدو الروعة أكثر حين يكون الخليفة – وهو أعلى سلطة في الدولة – هو الذي يختار أعضاء الشورى. وقد كان هؤلاء الستة أفضل الصحابة سابقة وهجرة وعلماً ومعرفة بالسياسة، وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما مات عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ووضع على سريره قبل أن يرفع، فترحم على عمر وقال:

(ما خلّفتَ أحداً أحبَّ إليَّ أنْ ألقى الله بمثل عمله منك، وأيم الله، إنْ كنتُ لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت اني كنتُ كثيراً أسمع النبي ﷺ يقول: [ذهبتُ أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجتُ أنا وأبو بكر وعمر])[1].

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:(أكثروا ذكر عمر؛ فإنكم إذا ذكرتموه ذكرتم العدل، وإذا ذكرتم العدل ذكرتم الله تبارك وتعالى)[2].

وقال ابو جعفر الطبري:(لم يكن في أهل الإسلام احد له من المنزلة في الدين والهجرة والسابقة والعقل والعلم والمعرفة بالسياسة ما للستة الذين جعل عمر شورى بينهم...)[3].

رضي الله عن أمير المؤمنين عمر، وجمعنا به في جنات الخلود!

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (باب: مناقب عمر بن الخطاب) حديث ٣٦٨٥، صحيح البخاري، ص ٩٣٤.

(٢) اسد الغابة لإبن الاثير ٤/ ١٧٣ تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، الطبعة الأولى ١٤١٧-١٩٩٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ١٣/ ١٩٨، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

أمير المؤمنين

عثمان بن عفان

أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي. ولد في الطائف بعد عام الفيل بست سنوات، فهو أصغر عمراً من النبي ﷺ بنحو خمس سنين، يلتقي نسبه (بنسب رسول الله ﷺ من جهة أبيه وأمه: فهو من جهة أبيه ابن عم الرسول ﷺ؛ لإلتقاء نسبه مع بني عبد المطلب في عبد مناف؛ وهو ابن عمة رسول الله ﷺ؛ لأن أمه أروى بنت كريز هي ابنة البيضاء بنت عبد المطلب[1]).

نشأ عثمان على كرم الاخلاق، وحميد الصفات، وشدة الحياء، ورجاحة العقل، وحسن الرأي، وصلة الرحم: فهو عظيم الخلق، رائع السجايا، لين الجناح، سخي اليد، كثير الحياء، يقول عن نفسه: وأيم الله، ما زنيت في جاهلية ولا إسلام، وما ازددتُ للإسلام إلا حياءاً، ولا مَسَستُ ذكري بيميني منذ أن بايعت بها رسول الله ﷺ[2].

وكان بعيداً عن إيذاء أيّ أحد كان من الناس، ويكره الصخب والشجار ومساوئ الأخلاق. وحين أرسل الله محمداً ﷺ بالإسلام، أعلن عثمان إيمانه بهذا الدين، وكان ذلك عن طريق أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لقد دخل في الإسلام قبل أن يدخل الرسول ﷺ دار الأرقم، فهو من السابقين الى الدخول في الإسلام. ولّما جهر النبي ﷺ بدعوته، اشتدَّ أذى المشركين على المسلمين – ومنهم عثمان – فآذوه كثيراً، فاضطر أن يهاجر الى الحبشة مع من هاجر اليها، وكانت بصحبته زوجه رقية بنت النبي ﷺ؛ فراراً بدينه متحملاً آلام الغربة. ولّما بلغ أسماع المهاجرين الى الحبشة

(١) الإمام علي بن أبي طالب تأليف: د. هاشم يحيى الملاح ص٦٨، الطبعة الأولى ١٤٢٨- ٢٠٠٧، دار الكتب العلمية، بيروت، نقلاً عن الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٥٣.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٦٠- ٦١.

أن أهل مكة قد دخلوا في الإسلام عادوا الى مكة؛ فوجدوا الأمر على غير ما بلغهم، فهم لم يزالوا في كفرهم وضلالهم وعنادهم ولددهم؛ فدخل المهاجرون في جوار قسم من أهل مكة. وبقي عثمان في مكة يلقى أذى المشركين، حتى تمت الهجرة الثانية الى المدينة. ولقد لازم النبي ﷺ في عهديه المكي والمدني، وتأثر بمنهجه في الدعوة الى الله وفي هديه، وفي هذا يقول: (إن الله عز وجل بعث محمداً ﷺ بالحق، فكنت ممن استجاب لله ولرسوله وآمن بما بُعث به محمد ﷺ ثم هاجرت الهجرتين، ونلت صهر رسول الله ﷺ وبايعت رسول الله ﷺ، فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله)[1].

ولمّا خرج النبي ﷺ الى بدر أمر عثمان بالبقاء في المدينة؛ ليمرِّض زوجه رقية ولم يمهلها المرض فماتت. وما إن خرج لدفنها حتى جاء البشير يخبر بانتصار المسلمين في بدر، وقد ضرب له النبي ﷺ بسهم من الغنيمة وقال له: [إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه[2]].

فلما عاد النبي من بدر زوّجه أختها (ام كلثوم) سنة ثلاث من الهجرة، وظلت معه حتى وافاها الأجل سنة تسع من الهجرة، ولم تنجب؛ فلذلك كان يلقب بذي النورين. وقد بشّره النبي ﷺ بالجنة. وكان عثمان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، وإذا جلس النبي جلس أبو بكر عن يمينه، وعمر عن يساره، وعثمان بين يديه. واختير من بين الستة الذين جعلهم عمر بن الخطاب شورى خليفة للمسلمين، وكان ذلك في سنة أربع وعشرين، وسار في المسلمين كسيرة أبي بكر وعمر. وقد اتسعت الفتوحات الإسلامية في خلافته، ففتحت أقاليم وأمصار كثيرة منها: إفريقية، وقبرص، وطبرستان، وكرمان، ومرو، وسجستان، وغيرها.

وفي خلافته صارت لدولة الإسلام قوة بحرية، وكان ذلك أمراً ضرورياً لحماية ثغور دولة الإسلام. وظلت الأمة تترقى في عهده من الحسن الى الأحسن، الى أن نقمت عليه

---

(١) فضائل الصحابة للإمام احمد بن حنبل ص١٨٣، حديث ٧٩٣.

(٢) رواه البخاري في كتاب فرض الخمس (باب: إذا بعث الإمام رسولًا في حاجة أو أمره بالمقام هل يسهم له؟)، حديث ٣١٣٠، صحيح البخاري ص٥١٩.

الغوغاء فحاصروه في الدار وقتلوه مظلوماً، وذلك سنة خمس وثلاثين من الهجرة، وكانت سنّه تناهز الثانية والثمانين وعدداً من الأشهر.

من فضائل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

فضائل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كثيرة ذكرت في الصحيحين: البخاري ومسلم، وكتب السنن وغيرها بأسانيد صحيحة ولكن هناك فضيلة من فضائله تكاد تغطي على فضائله الأخرى: تلك فضيلة انفاقه ماله في سبيل الله. ونقتصر هنا على ذكر قليل من تلك الفضائل:

١ – لمّا هاجر النبي ﷺ الى المدينة، رأى حاجة الناس الشديدة الى الماء الصالح للشرب، وكان فيها بئر يملكها يهودي تسمى (بئر رومة)، وقد ندب النبي ﷺ الصحابة الى حفرها وشرائها فقال: [من يحفر بئر رومة فله الجنة] فحفرها عثمان[1]، واشتراها من اليهودي وسبّلها للمسلمين.

٢ – عزم النبي ﷺ على الخروج لغزوة تبوك، وكان المسلمون يعانون من ضيق ذات اليد، والغزوة تحتاج الى مال كثير، فندب النبي ﷺ الصحابة الى تجهيز الغزوة وقال: [من جهّز جيش العسرة فله الجنة] فجهّزه عثمان[2]. فقد جاء بألف دينار (ذهباً) صبها في حجر النبي ﷺ والنبي الكريم يقول: [ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم] يرددها مراراً[3].

٣ – عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (قحط المطر على عهد أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فاجتمع

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (باب: مناقب عثمان بن عفان) ٧/ ٣٦، صحيح البخاري ص٩٣٦.

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (باب: مناقب عثمان بن عفان) ٧/ ٣٦، صحيح البخاري ٩٣٦.

(٣) رواه الإمام احمد في مسنده بسند صحيح، حديث ٢٠٥٠٨، مسند الإمام احمد ١٥/ ٢٦٨، والحاكم في المستدرك ٣/ ١١٠ وغيره.

الناس الى أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقالوا: السماء لم تمطر والأرض لم تنبت، والناس في شدة شديدة، فقال أبو بكر الصديق: انصرفوا فإنكم لا تمسون حتى يفرج الله عز وجل عنكم! فما لبثنا إلا قليلاً أن جاء أجراء عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الشام؛ فجاءته مائة راحلة بُرّاً او قال طعاماً، فاجتمع الناس الى باب عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقرعوا عليه الباب؛ فخرج اليهم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ملأ من الناس فقال: ما تشاؤون؟ قالوا: الزمان قد قحط، والسماء لا تمطر، والأرض لا تنبت، والناس في شدة شديدة، وقد بلغنا أن عندك طعاماً، فبعناه حتى نوسع على فقراء المسلمين. قال عثمان: حباً وكرامة، ادخلوا فاشتروا؛ فدخل التجار، فإذا الطعام موضوع في دار عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: يا معشر التجار، كم تربحوني على شرائي من الشام؟ قالوا: للعشرة اثنا عشرة، فقال عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قد زادوني؛ فقالوا: العشرة اربعة عشرة. فقال عثمان: قد زادوني. قالوا: للعشرة خمسة عشر؛ قال عثمان: قد زادوني. قال التجار: يا ابا عمرو، ما بقي في المدينة تجار غيرنا، فمن ذا الذي زادك؟ فقال: زادني الله عز وجل بكل درهم عشرة أعندكم زيادة؟ فقالوا: اللهم لا. قال: فإني أُشهد الله أني قد جعلت هذا الطعام صدقة على فقراء المسلمين. فقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فرأيت من ليلتي رسول الله – يعني في المنام – وهو على برذون ابلق، عليه حُلّة من نور، في رجليه نعلان من نور، بيده قضيب من نور وهو مستعجل؛ فقلت: يا رسول الله، لقد اشتد شوقي اليك وإلى كلامك فأين تبادر إذن؟ قال: يا بن عباس، إن عثمان بن عفان تصدَّق بصدقة، وإن الله عز وجل قد قبلها منه، وزوّجه بها عروساً في الجنة، وقد دُعينا الى عرسه)[1].

٤ – عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال صعد النبي ﷺ أُحُداً، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف، وقال: اسكن أُحُد –أظنه ضربه برجله– فليس عليك إلا نبي وصدّيق وشهيدان)[2].

(١) كتاب الشريعة للأجري ص٧١٣– ٧١٤ حديث ١٤٨٦، الطبعة الثانية ١٤٢٥– ٢٠٠٤ جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت.

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (باب: مناقب عثمان بن عفان) حديث ٣٦٩٩،=

٥ – عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ دخل حائطاً وأمرني بحفظ باب الحائط، فجاء رجل يستأذن فقال: (أئذن له وبشّره بالجنة) فإذا أبو بكر، ثم جاء آخر يستأذن فقال: (ائذن له وبشره بالجنة) فإذا عمر، ثم جاء آخر يستأذن فسكت هنيهة ثم قال: (ائذن له وبشره بالجنة على بلوى ستصيبه، فإذا عثمان بن عفان)[١].

وهذا الحديث معجزة من معجزات النبي ﷺ؛ لإخباره ببلوى تصيب عثمان، وقد وقعت البلوى كما أخبر النبي ﷺ.

وفي هذا الحديث – ايضاً – فضيلة للخلفاء الراشدين الثلاثة، وأنهم من أهل الجنة، ولا يستحق ذلك إلا مَنْ مات على الإيمان الحق.

٦ – عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم[٢].

٧ – عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: [أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءاً عثمان بن عفان...] [٣].

والحياء صفة من أعظم الصفات التي يُحمد عليها الإنسان، وهو من صفات الإيمان.

= صحيح البخاري ص٩٣٧.

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (باب: مناقب عثمان بن عفان) حديث، ٣٦٩٥، صحيح البخاري ص٩٣٦.

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (باب: مناقب عثمان بن عفان) حديث ٣٦٩٧، صحيح البخاري ص٩٣٧.

(٣) رواه الترمذي في كتاب المناقب (باب: مناقب معاذ بن جبل..)، حديث ٣٧٩٠، جامع الترمذي ص٨٦٠.

أخلاقهُ وعبادتهُ

كان عثمان يتبَّوأ مكانة رفيعة في قريش، فهو محبوب من الناس، حتى كانت الأم إذا أرادت ان تداعب ولدها تقول له: (أحبَّك الرحمن حبَّ قريش عثمان)[١]. وكان رحيمًا بالناس كلهم، حتى كان في تهجده لا يوقظ واحداً من أهله او خدمه ليعينه في وضوئه مثلاً، فإذا عوتب قال: (لا، الليل لهم يستريحون فيه)[٢].

وحين غضب على عبد له فعرك أذنه وتذكرّ القصاص، ندم على ما كان منه فقال له: (إني كنت عركت أذنك فاقتص مني!) ويستحيي العبد من كلام سيده؛ فيلح عليه عثمان أن يفعل ويقول له: (شدَّ شدَّ، يا حبذا قصاص الدنيا ولا قصاص الآخرة)[٣].

وأما عن عبادته فقد كان كثير الصلاة والصيام. ويكفينا أن نعلم ما أخرجه ابن سعد عن عطاء بن أبي رباح قال: (إن عثمان بن عفان صلى بالناس، ثم قام خلف المقام، فجمع كتاب الله في ركعة كانت وتره؛ فسميت البتيراء)[٤].

وقال الحافظ الذهبي: (.. وصح من وجوه أن عثمان قرأ القرآن كله في ركعة)[٥]

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (يصوم الدهر، ويقوم الليل إلا هجعة من أوله)[٦].

---

(١) البدء والتاريخ للمطهر بن طاهر المقدسي ٥/ ٧٩ تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، الطبعة الأولى مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٦٠.

(٣) التذكرة الحمدونية لمحمد بن الحسن بن محمد ٣/ ٢١٢، دار صادر، بيروت.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٧٥.

(٥) تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي ٣/ ٤٧٦، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى: ١٤٠٧- ١٩٨٧، دار الكتاب العربي.

(٦) المصنف لأبن أبي شيبة ٢/ ٧٣، حديث ٦٦١٠.

عثمان والقرآن

عاش عثمان حياته مع القرآن، وسمع آياته من فم النبي ﷺ بعد أن ينزل بها جبريل على قلبه الشريف قبل أن يسمعها غيره من الصحابة ممن لا يكتبون الوحي، فقد كان هو رضي الله عنه من كتّاب الوحي الذين يكتبون ما ينزل على النبي من آيات وسور، فيتلقفها بشوق ويقوم بكتابتها وحفظها: فكان القرآن سلوته الدائمة، وقد ترك في حياته آثاره الطيبة؛ فزكت بها نفسه، وتطهر بها قلبه. ولم يكن عثمان يتلو القرآن من أجل التلاوة وحدها، بل من أجل العمل به، وهذا هو شأن صحابة النبي ﷺ، وقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (كان الرجل منا إذا تعلّم عشر آيات لم يجاوزهنَّ حتى يعرف معانيهن والعمل بهن. وقال ابو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا- يعني القرآن كعثمان بن عفان وابن مسعود وغيرهما- أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل؛ فتعلمنا القرآن والعمل بها جميعاً[1]).

ومما جعل عثمان يتعلق قلبه بالقرآن أكثر، ما علمه من رسول الله ﷺ في فضل تعلّم القرآن وعلَّمه، فقد روى عن النبي ﷺ أنه قال: [خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه[2]].

ولقد علم بثاقب بصيرته هيمنة القرآن على القلوب الطاهرة، فكان يقول: (لو طهرت قلوبنا ما شبعت من كلام الله عز وجل)[3].

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ١٦.

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن (باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه) حديث ٥٠٢٧، صحيح البخاري ص١٢٩٩.

(٣) فضائل القرآن للإمام احمد بن حنبل ص١٧٨، حديث ٧٧٧.

وكان يقول: (ما أحب أن يأتي عليّ يوم ولا ليلة لا أنظر في كلام الله)[1] يعني القرآن. وقد حفظ القرآن، وكان كثير التلاوة له، وسار على هديه، واستشهد والقرآن في حجره.!

كيف نُصِّبَ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خليفة

لما حضرت الوفاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد أن طعنه المجوسي ابو لؤلؤة فيروز جعل الأمر بعده شورى بين ستة نفر هم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وكلهم من المهاجرين ومن المبشرين بالجنة. ولما طُلِب منه ان يستخلف واحداً أبى ذلك وقال: لا أتحمل أمرهم حياً وميتاً)[2].

وقد فوّض ثلاثة من هؤلاء حقهم الى ثلاثة، ففوّض الزبير ما يستحقه من الخلافة الى علي، وفوّض سعد حقه الى عبد الرحمن بن عوف، وفوّض طلحة حقه الى عثمان، وتنازل عبد الرحمن عن حقه، وقرر أن يجتهد فيولي أولاهما بالحق، وصارحهما بذلك فقالا: نعم. وخرج عبد الرحمن وأكثر من استشارة الناس فيهما سراً وجهراً، كما استشار النساء ايضاً، وحتى الولدان في المكاتيب قام باستشارتهم.. فلم يجد اثنين اختلفا في تقدّم عثمان.. وقد أخذ عبد الرحمن من كل واحد منهما إن ولّاه ليعدلن وان ولّي عليه ليسمعن.. واجتمع الناس في المسجد فقال عبد الرحمن: قم إليّ يا علي فقام اليه فأخذ عبد الرحمن بيده وقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم: لا، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي؛ فأرسل يده وقال: قم إليّ يا عثمان، فأخذه بيده فقال: هل انت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم نعم. قال: فرفع رأسه الى سقف

(١) فضائل الصحابة للإمام احمد بن حنبل ص١٧٨، حديث ٧٧٨.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ١٤٠.

المسجد ويده في يد عثمان، فقال: اللهم اسمع واشهد، اللهم اسمع واشهد، اللهم اسمع واشهد، اللهم إني قد خلعت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان، واقبل الناس يبايعون عثمان، فقعد عبد الرحمن مقعد النبي ﷺ، وأجلس عثمان على الدرجة التي تليها. وهكذا اقبل المسلمون على مبايعة عثمان، وكان علي ثاني من بايعه، بعد عبد الرحمن بن عوف.

إجماع الصحابة على خلافة عثمان

أجمع الصحابة ومن جاء بعدهم من أهل السنة والجماعة، على ان عثمان بن عفان كان اجدر الناس بالخلافة بعد عمر بن الخطاب، وهذه طائفة من اقوال أهل العلم في ذلك:

١ – قال حارثة بن مضرب: (حججت في إمارة عمر فلم يكونوا يشكّون: أن الخلافة من بعده لعثمان)[٣].

٢ – قال عبد الله بن مسعود حين استخلف عثمان: (استخلفنا خير من بقي ولم نأل) أي لم نقصّر.

وفي رواية أخرى: (أمَّرنا خير من بقي ولم نأل)[٤].

وقال الإمام احمد بن حنبل: (لم يجتمعوا على بيعة أحد كما اجتمعوا على بيعة عثمان)[٥].

وقال ابو الحسن الأشعري: (وثبتت إمامة عثمان رضي الله عنه بعد عمر بعقد من عقد له الإمامة من أصحاب الشورى الذين نصَّ عليهم عمر، فاختاروه ورضوا بإمامته، واجمعوا على فضله

(٣) المصنف لابن أبي شيبة ٧/ ٤٤١ حديث ٣٧٠٦٤ ضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين، الطبعة الثانية ١٤٢٦ – ٢٠٠٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٦٣.

(٥) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٣/ ١٦٦ تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة.

وعدله)[1].

وقال عثمان الصابوني متحدثاً عن عقيدة السلف وأصحاب الحديث في ترتيب الخلافة: (إنهم يقولون اولاً بخلافة الصدّيق، ثم عمر، قال: ثم خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإجماع أهل الشورى، وإجماع الأصحاب كافة، ورضاهم به، حتى جعل الأمر اليه)[2].

وهناك أقوال كثيرة لأئمة المسلمين في هذا المعنى، وكلها تدل دلالة واضحة على أن خلافة عثمان كانت بإجماع الصحابة، ولم يخالف في ذلك أحد.

أول خطبة لأمير المؤمنين عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أعلن أمير المؤمنين عثمان عن منهجه في الحكم في أول خطبة خطبها بعد ان ولي الخلافة. وبيّن في هذه الخطبة: أنه متّبع كتاب الله وسنةَ رسوله ومنهج الشيخين أبي بكر وعمر، وأنه سيسوس الناس بالحلم إلا في الحدود. وحذّرهم من الركون الى الدنيا فقال في خطبته هذه:

(أما بعد، فإني قد حُمِّلْت وقد قبلت. ألا وإني متبع ولست بمبتدع. ألا وإن لكم عليَّ بعد كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ثلاثاً: اتباع من كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسننتم، وسنَّ سنة أهل الخير فيما لم تسنّوا عن ملأ، والكف عنكم إلا فيما استوجبتم. ألا وإن الدنيا خضرة قد شُهِّيت الى الناس ومال اليها كثير منهم، فلا تركنوا الى الدنيا ولا تثقوا بها؛ فإنها ليست بثقة، واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها)[3].

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري ص٩١، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد الله محمود محمد عمر، الطبعة الثانية ١٤٢٦- ٢٠٠٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) عقيدة السلف واصحاب الحديث تاليف الشيخ اسماعيل الصابوني ١/ ١٣٩، نشر محمد أمين دمج ١٩٧٠، بيروت.

(٣) تاريخ الطبري ٤/ ٤٢٢.

أما ما نقله ابن عبد ربه في كتابه (العقد الفريد) من أنْ أمير المؤمنين عثمان أُرتج عليه في أول خطبة خطبها ووقف حائراً لا يدري ما يقول ثم قال: إن أول مركب صعب، وإن أعش فستأتيكم الخطبة على وجهها.! وهذا النص لم يأت بإسناد صحيح، فقد أورده ابن عبد ربه في كتابه هذا، وهو لا يهتم بصحة الحديث، فيورد الأخبار والحكايات والنوادر. وننظر في سند كلامه عن الخطبة الأولى التي أوردها لعثمان، فنرى الرواية قد جاءت عن طريق الواقدي وهو متروك الحديث[1].

مأثرة عظيمة خالدة

وإذا كانت مآثر عثمان كثيرة كثيرة، فإن من اجلها وأبقاها خلوداً جمع الناس في العالم الإسلامي كله على قراءة واحدة[2].

فشكّل سيدنا عثمان لجنة من افذاذ حفظة القرآن وهم (زيد بن ثابت) و(عبد الله بن الزبير) و(سعيد بن العاص) و(عبد الرحمن بن الحارث بن هشام) أن يقوموا بجمع القرآن،

(١) لزيادة الإطلاع ينظر: عثمان بن عفان للدكتور الصلابي ص٨٦، نقلًا عن خلافة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للدكتور محمد صامل السُّلمي ص٣٤- ٣٥، الطبعة الأولى ١٤١٩ جامعة أُم القرى، مكة المكرمة.

(٢) جمع القرآن مرتين الأولى في خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد أمر زيد بن ثابت أن يقوم بجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال.. وقام زيد بذلك خير قيام فنقلوا القرآن من تلك المفردات الى صحف من نوع واحد بمقاس واحد تحفظ بين دفتين. وبقي المصحف عند أبي بكر، وقبيل موته عهد به الى المرشح للخلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبقي عنده مدة خلافته، ولّما طُعن سلّمه الى ابنته حفصة؛ إذ لم يكن الخليفة الثالث قد بويع بالخلافة.

أما جمع القرآن في المرة الثانية، فكانت في خلافة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد امر زيد بن ثابت -ايضاً- أن يقوم بجمعه معتمداً على المصحف الذي تم جمعه في عهد أبي بكر، وأن تعتمد لهجة قريش عند اختلاف اللجنة في كتابة شيء من القرآن، وأن تعتمد القراءة المتواترة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فتم تدقيق المصحف، وترتيب سوره ووزعت منه عدة نسخ على الأمصار؛ لئلا يقع الإختلاف في قراءته.

معتمدين على المصحف الذي جمع في خلافة أبي بكر الصديق، وقد قامت اللجنة بعملها خير قيام فنسخ المصحف ووزعت نسخه في الأقطار الإسلامية، بعد أن وحّدت على طريقة واحدة خشية أن يقع الإختلاف في قراءته؛ إذ كان الناس يقرؤون القرآن على قراءات كثيرة، وقد كان الجمع الأول في عهد أبي بكر الصديق، وقد روي عن سيدنا علي بن أبي طالب قوله: (يرحم الله ابا بكر هو أول من جمع اللوحين)[1].

خلافة عثمان الراشدة

لم تختلف سيرة عثمان عن سيرة أبي بكر وعمر، من حيث إقامة العدل بين الناس، ونشر المساواة بينهم، وسيادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فقد كتب الى ولاة الأمصار يأمرهم بإقامة العدل بين الناس، وان يكونوا لهم رعاة لا جباة، وأن يكونوا بهم رحماء. يقول سالم بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لمّا ولي عثمان حجَّ سنواته كلها إلا آخر حجة.. وأمن الناس، كتب في الأمصار أن يوافيه العمال في كل موسم ومَنْ يشكوهم، وكتب الى الناس في الأمصار: أن ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، ولا يذل المؤمن نفسه، فإني مع الضعيف على القوي ما دام مظلوماً إن شاء الله)[2].

وقال ابن كثير:({كان عثمان} يلزم عماله بحضور الموسم كل عام، ويكتب الى الرعايا: من كانت له عند أحد منهم مظلمة، فليواف الى الموسم؛ فإني آخذ له حقه من عامله)[3].

ولقد ازدهرت الحياة الإقتصادية في خلافة عثمان أيما ازدهار، فقد بلغت الفتوحات

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ١٩٣، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ٢٣٩ تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، طبع سنة ١٣٩١، دار المعرفة، بيروت.

(٢) تاريخ الطبري ٢/ ٦٧٩، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٢١٠.

الإسلامية في عهده أوجها: ففتحت الفتوح في بلاد فارس والروم وفي شمال إفريقية، وكان أكثر القادة من القريبين بالنسب لأمير المؤمنين عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مثل: معاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، ومروان بن الحكم والوليد بن عقبة ففتحت ارمينية واذربيجان وقبرص وطبرستان... وفي خلافته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ انتصر المسلمون على الروم في معركة (ذات الصواري)، وقتل يزدجر ملك فارس ايضاً. إن هذه الفتوح كانت سبباً في دخول الملايين من الناس في دين الله.

هكذا ازدهرت الحياة الإقتصادية. ويكفينا أن نعلم عن ذلك الإزدهار الإقتصادي ما رواه الحسن البصري -رحمه الله- قال:

(أدركتُ عثمان -على ما نقموا عليه- قلَّ ما يأتي على الناس يوم إلاّ وهم يقتسمون فيه خيراً، يقال لهم: يا معشر المسلمين، أُغدوا على أُعطياتكم، فيأخذونها وافرة، ثم يقال لهم: عودوا على أرزاقكم؛ فيأخذونها وافرة، ثم يقال لهم: اغدوا على السمن والعسل .. الأعطيات جارية، والأرزاق دارة، والعدو متقي، وذات البين حسن، والخير كثير، وما من مؤمن يخاف مؤمناً، ومَنْ لقيه فهو أَخوه ...)[1].

وقال ابن سيرين: كثر المال في زمن عثمان حتى بيعت جارية بوزنها، وفَرَس بمائة الف درهم، ونخلة بألف درهم)[2]

العلاقة بين عثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

بعد أن بويع عثمان بالخلافة ظل سيدنا علي يسمع ويطيع كما تعهد أمام عبد الرحمن بن عوف، وكان متعاوناً معه، مناصراً له، يدفع عنه كيد الكائدين، ويرجو له من الخير ما يرجوه

(١) البداية والنهاية لإبن كثير ٧/ ٢٠٦.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر ٣/ ٧٣.

لنفسه، وكان له نعم الناصح الأمين، وكلما ثارت عاصفة في وجه عثمان تريد الإساءة اليه، وقف سيدنا علي يدافع عنه بالحق. ولقد كان عمل أمير المؤمنين عثمان بجمع الناس على وجه واحد في تلاوة القرآن من افضل الأعمال إن لم يكن أفضلها، وقد أحرق الصحف الأخرى خشية ان يتفرق المسلمون في تلاوتهم للقرآن الكريم، وكان ذلك على علم من الصحابة ورضاهم. ولما ثارت الزوبعة بسبب حرقه للصحف الأخرى، وقف سيدنا علي يقول: (أيها الناس، إياكم والغلوّ في عثمان، تقولون حرق المصاحف، والله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب محمد ﷺ، ولو وليت مثلما ولي لفعلت مثل الذي فعل)[1].

وقال محب بن حاطب: (سمعت علياً يقول: يعني: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ منهم عثمان)[2].

ولما أقدم من يبغض عثمان وينقم عليه من مصر يريدون المدينة، وكان عددهم ستمائة راكب في صفة معتمرين في شهر رجب لينكروا على عثمان، وعلم عثمان بذلك، فأمر علي بن أبي طالب أن يخرج اليهم ليردهم الى بلادهم، وخرج علي ومعه جماعة من الأشراف إليهم وهم بالجحفة، وكان هؤلاء يحبون علياً ويبالغون في أمره، واستطاع عليّ بما آتاه الله من حجج قوية ومنطق سليم أن يردهم بعد أن أنبهم. وعجبوا من موقف سيدنا علي وقالوا: هذا الذي تحاربون الأمير بسببه؟!

(وسألهم علي ماذا ينقمون عليه؟ فذكروا أشياء؛ فأجاب علي عن ذلك، وعلَّلَ لعثمان، وردّهم الى قومهم؛ فرجعوا خائبين من حيث أتوا، ولم ينالوا شيئاً مما كانوا أمّلوا وراموا، ورجع علي الى عثمان فأخبره برجوعهم عنه، وأشار علي على عثمان بالرأي، فاستمع عثمان نصيحته، وقابلها بالسمع والطاعة)[3].

---

(١) البداية والنهاية ٧/ ٢١٠.

(٢) رواه الإمام احمد في كتاب فضائل الصحابة ص١٧٦، حديث ٧٧٣.

(٣) المرتضى (سيرة أمير المؤمنين سيدنا أبي الحسن علي بن أبي طالب) تأليف: أبي الحسن علي الحسني=

ولما جاء أهل مصر مرة أخرى في شوال سنة خمس وثلاثين، متظاهرين بأنهم يريدون الحج وأحاطوا بالمدينة، خرج اليهم سيدنا علي وقال لأهل مصر: ما ردّكم بعد ذهابكم..؟.

ولما تكاثرت الغوغاء على أمير المؤمنين عثمان خرج اليهم سيدنا علي بعد أن لبس عمامة النبي ﷺ، وتقلَّد سيفه، وجاء الى دار عثمان ومعه ابنه الحسن، وعبد الله بن عمر، وعدد من المهاجرين والأنصار، وقد طلب من عثمان أن يسمح لهم ليقاتلوا دونه فأبى ذلك، وأقسم على من كان يحميه أن يخرجوا، ويذهب كل واحد منهم لسبيله، فكان الحسن بن علي آخر من خرج. وقال أمير المؤمنين عثمان – ايضاً – :

(أنشد الله رجلاً رأى لله حقاً، وأقرَّ أن لي عليه حقاً أن يهريق في سببي ملء محجمة من دم، او يهريق دمه فيّ؛ فأعاد علي عليه القول؛ فأجابه مثل ما أجابه. ثم دخل المسجد، وحضرت الصلاة. فقالوا: يا أبا الحسن تقدم فصلِّ بالناس. فقال: لا أصلي بكم والإمام محصور، ولكن أصلي وحدي، فصلى وحده وانصرف الى منزله)[1].

ولما اشتد البلاء على عثمان، ونفد ما كان معه من الماء، جاءه عليّ بالماء بنفسه، ولم يصل الماء اليه إلا بجهد جهيد من سيدنا علي.

ودافع الحسن بن علي عنه يوم قتل عثمان حتى تخضب بالدماء على بابه، فحمله ابو محمد الأنصاري.

الفتنة

كان النبي ﷺ محباً لعثمان، وقد أعلم الله نبيه بالفتنة التي تقع؛ فدعاه ذات يوم وأخبره بما يقع مستقبلاً من فتنة عمياء تنتهي بقتله. وأراد عليه السلام أن يظل ما أخبره به سراً، حتى

= الندوي ص١٤١.

(١) المرتضى ص١٤٤ نقلًا عن عثمان بن عفان ذي النورين ص٢١٨– ٢١٩.

انه عليه السلام امر عائشة بالإنصراف حين أراد الحديث معه فقال لها: (تنحّي) اي انصرفي. وظل عثمان كاتماً لذلك الحديث معه لم يحدّث به أحداً، اللهم إلا ما كان من تصريحه لما قيل له: ألا تقاتل؟ فقال: (إن رسول الله ﷺ قد عهد إليّ عهداً فأنا صابر عليه)[1].

ومن ذلك العهد: ألا يتنازل عن الخلافة إذا طلب منه ذلك؛ فقد جاء في تلك المسارّة التي سارّ بها النبي ﷺ: (يا عثمان، إنه لعل الله يقمصك قميصاً، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم)[2].

ويبدو من وصية النبي هذه أنه أراد عليه السلام أن تنحصر الفتنة ولا تنتشر أكثر فأكثر؛ فإن من يدرس أحوال الفتنة لا يستبعد أن يقع أكثر مما وقع.

إن هذا الإصرار من عثمان على رفض القتال في الدفاع عنه أثناء الحصار، ورفضه للتنازل عن الخلافة كان بسبب وصية النبي ﷺ له بذلك.

ولقد كان سيدنا عثمان مؤمناً تمام الإيمان أن النبي الكريم لا ينطق عن الهوى، وان ما حدثه به من الفتنة والشهادة سيقع لاشك فيه؛ لذلك كان ينتظر وقوع ما أخبره به النبي ﷺ بين حين وآخر من أن الفتنة تشتعل في خلافته، وأنه يقتل ظلماً، وأنه ومن معه يكونون حينئذ على الحق [3].

---

(١) رواه الترمذي بإسناد صحيح في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه سنن الترمذي ص٨٤١ حدث ٣٧١١ وابن ماجه في المقدمة حديث ١١٣، سنن ابن ماجه ١/ ٤٢.

(٢) رواه الترمذي بإسناد صحيح في كتاب مناقب عثمان بن عفان برقم ٣٧٠٥، سنن الترمذي ص٨٤٠، وابن ماجه في المقدمة حديث ١١٢ سنن ابن ماجه ١/ ٤١.

(٣) بعد أن تولىَّ عثمان الخلافة كان يتوقع قرب ما أخبره به النبي ﷺ من الفتنة وسقوطه شهيداً؛ لذلك نرى سيرته في الخلافة فيها شيء من اللين مع الناس؛ تخفيفاً من وطأة الفتنة التي ستقع لا محالة. وقد تحقق ما أخبر به النبي ﷺ.

عبد الله بن عمر بن الخطاب
يرد على الشبهات حول عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

كثرت الإنتقادات الموجهة الى سيدنا عثمان من الناس الذين خرجوا عليه.. أولئك الذين اساءوا في تصرفاتهم فارتكبوا ما حرّمه الله فأوقفهم عثمان عند حدّهم: فقد كانوا أصحاب مآرب واهواء، فوق دسائس ابن سبأ الذي كان له دور في تأليب الناس على الخليفة والخروج عليه ثم قتله. والاعلام المضلل ظالم غاشم، يستطيع أن يخدع كثيراً من الناس – وبخاصة السذج منهم – ومن لم يتربوا التربية الإسلامية الصحيحة، ولم يتغلغل الإيمان في قلوبهم. ولقد كان الصحابة الذين عايشوا سيرة النبي ﷺ وعاشوا مع سيدنا عثمان، يدركون أن ما تصوره الناقمون عليه منقصة فيه هو في حقيقة الأمر منقبة من مناقبه ومفخرة من مفاخره: فقد اخذوا عليه أنه فرَّ في غزوة أُحُد، ولم يخرج للقتال في غزوة بدر، ولم يشهد بيعة الرضوان. وخير من يجيب عن هذه الأسئلة: الصحابة الذين عايشوا سيدنا عثمان عن كثب.

ولندع صحابياً جليلاً هو عبد الله بن عمر يشرح لنا: أكانت هذه الأمور الثلاثة مآخذ على عثمان؟روى الإمام البخاري أن عثمان بن موْهب قال: جاء رجل من أهل مصر حجّ البيت، فرأى قوماً جلوساً، فقال: من هؤلاء القوم؟ قالوا: هؤلاء قريش. قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر. قال: يا ابن عمر، إني سائلك عن شيء فحدثني: هل تعلم أن عثمان فرّ يوم أُحُد؟ قال: نعم. فقال: أتعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم. قال: تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم. قال: الله اكبر. قال ابن عمر: تعال أبين لك: أما فراره يوم أُحُد، فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له، واما تغيبه عن بدر، فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ: [إن لك أجر رجل ممن

شهد بدراً وسهمه]، واما تغيبه عن بيعة الرضوان، فلو كان أحد أعزَّ ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه؛ فبعث رسول الله ﷺ عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان الى مكة، فقال رسول الله ﷺ: بيده اليمنى: [هذه يد عثمان] فضرب بها على يده فقال: [هذه لعثمان]. فقال له ابن عمر: إذهب بها الآن معك[1].

الروايات الواردة في الفتنة

لابد لمن يريد أن يكتب في موضوعات الفتنة – وبخاصة في قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان – أن يكون متحرياً الدقة فيما يكتب، وذلك بنقد الروايات نقداً علمياً خالياً من أي أثر كان من آثار الهوى، متذكراً أن الله يراقبه فيما يكتب، وأن ما يكتبه ويقوله يكون حجة له او عليه يوم القيامة.

إن كل من يطلع على كتب التاريخ الإسلامي، ويمحص الروايات الواردة في الفتنة، يجد كثيراً منها باطلة لا أصل لها، وأخرى ضعيفة رواها الضعفاء والهلكة. وهذا لا يعني عدم وجود روايات صحيحة رواها الثقات، فقد وجد من ذلك غير قليل منها، بيد أن الروايات الباطلة والضعيفة هي التي سادت بطون الكتب وكتب لها الإنتشار، وتلقفها الناس من غير دراسة لها ولا تمحيص أولاً، وبسبب التضليل الإعلامي الذي حمل لواءه أصحاب الأهواء والبدع والضلال بعد ذلك، حتى زعمت بعض الروايات أن من الصحابة من اشترك في الفتنة التي انتهت بقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.! ولم يدر كثير من الناس أن أهل البدع والضلال هم الذين قاموا بوضع تلك الروايات والترويج لها لمآرب في نفوسهم! لذلك أحجم كثير من العلماء والمؤرخين عن خوض غمار هذه الفتنة؛ لتظل قلوبهم سليمة

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل اصحاب النبي ﷺ (باب: مناقب عثمان بن عفان) حديث ٣٦٩٨، صحيح البخاري ص٩٣٧.

عن أي واحد كان من صحابة النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.. فلم يخض في تحقيق هذه الروايات إلا العدد القليل من افذاذ العلماء من أهل السنة والجماعة.. أولئك الذين تحروا الوصول الى الصواب بتمحيصها؛ فأماطوا اللثام عن الروايات الموضوعة والهالكة والضعيفة التي شوهت سيرة الصحابة، وصورتهم بصورة الأحزاب المتصارعة على السلطة، المتهالكة على الوصول الى الحكم والحصول على متع الحياة الدنيا. ومن هؤلاء العلماء الذين محصوا تلك الروايات تمحيصاً علمياً دقيقاً، وبينوا خالصها من زائفها، وصحيحها من سقيمها وباطلها: أبو بكر بن العربي، وابن تيمية، والمحب الطبري.

مجتمع الخليفتين ليس كمجتمع عثمان

بعد أن تولى أمير المؤمنين عثمان الخلافة، ودخل المجتمع الإسلامي ما دخله من الحياة المدنية ووسائل الرفاهية، تغيرت سيرة وأخلاق قسم من الناس؛ فإن المجتمع في عهد عثمان ليس كالمجتمع الذي كان في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبي بكر وعمر.

وتولى عثمان الخلافة وظل سائراً على منهج الخليفتين أبي بكر وعمر فأقام العدل بين الناس، ونشر المساواة بينهم، لكن المجتمع قد تغيّر؛ إذ بطر الناس بالنعم التي انهالت عليهم من كل جانب، تلك النعم التي ما كانوا يحلمون بها من قبل. وفي اتساع رقعة دولة الإسلام ظهرت مشكلات حتى في آخر أيام خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويدلنا على ذلك دعاء سيدنا الفاروق في آخر حياته: (اللهم كبرت سني، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني غير مضيع ولا مفرط)[1].

(١) رواه مالك في الموطأ ٢/ ٣٨٥ بتحقيق: بشار عواد معروف، الطبعة الثانية ١٤١٧- ١٩٩٧، دار=

ومع ذلك فنحن لا ندعّي لعثمان العصمة، ولا نبرئه من أخطاء؛ لأنه مجتهد يصيب ويخطئ، لكن أكثر الثائرين عليه كانت لهم أغراض شخصية، ودوافع سياسية. يقول الأستاذ عباس محمود العقاد: (لقد كان من الناهضين لمحاسبة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُناس مغرضون، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون غير ما يقولون، كان منهم من اقام عليه الحد ومن حبس أباه في جريمة، ومن فرق بينه وبين حليلة تزوجها على غير الشريعة..)[1].

وبلغت الفتنة ذروتها

وبعد أن بلغت الفتنة ذروتها، قامت الغوغاء بمحاصرة أمير المؤمنين في داره، ووقف قسم من الصحابة وأولادهم – ومنهم الحسن والحسين وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير – يدافعون عنه، واستمر الحصار من أواخر ذي القعدة الى الثامن من ذي الحجة، وكان اليوم يوم جمعة، وقد طلب عثمان ممن كان معه من المهاجرين والأنصار – وكان عددهم يقرب من سبعمائة – أن يتركوا داره، وينطلق كل واحد منهم الى منزله،وكان مما قاله:

(أقسم على مَنْ لي عليه حق أن يكفّ يده، وأن ينطلق إِلى منزله). ولم يكتف بهذا، بل قال: مَنْ أغمد سيفه فهو حرّ.

أما علي بن أبي طالب، فقد استأذنه في الدفاع عنه فأبى وقال: أنشد الله رجلاً رأى لله حقاً، وأقرّ أن لي عليه حقاً أن يهريق في سببي ملء محجمة من دم، او يهريق دمه فيّ. فأعاد عليه القول، فأجابه مثلما أجابه. ودخل علي المسجد وقد طلب من عليّ أن يقف فيهم إِماماً فقال: لا أُصلي بكم والإمام محصور، ولكن أُصلي وحدي. فصلى وحده وانصرف الى منزله.

= الغرب الإسلامي، بيروت.

(١) المرتضى – سيرة أمير المؤمنين سيدنا أبي الحسن علي بن أبي طالب – تأليف: أبي الحسن الندوي ص١٤٠، نقلاً عن كتاب العبقريات الإسلامية للعقاد ص٧٠٦.

وقد طلبوا من عثمان أن يخلع نفسه فقال: ما كنت لأخلع سربالاً سربلنيه الله. وهو بهذا قد عمل بوصية النبي ﷺ حين قال: (يا عثمان لعل الله يقمصك قميصاً: فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم)[1].

عثمان والبغاة

منع البغاة عثمان من الصلاة في المسجد. ولم يكتفوا بهذا بل منعوه الماء. عند ذلك خرج اليهم، وصار يعظهم ويذكرهم بفضائله. ولنترك الآن الإمام الترمذي يروي لنا هذا الحديث الحسن عن أبي مسعود الجريري عن ثمامة بن حزن القشيري قال: (شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان فقال: أئتوني بصاحبيكم اللذين أللباكما عليّ.

قال: فجيء بهما كأنهما جملان، أو كأنهما حماران، قال: فأشرف عليهم عثمان فقال: أنشدكم بالله والإسلام، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة، فقال رسول الله ﷺ: [من يشتري بئر رومة، فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة]؛ فاشتريتها من صلب مالي، فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب منها حتى أشرب من ماء البحر؟ قالوا: اللهم نعم، فقال: أنشدكم بالله والإسلام، هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله، فقال رسول الله ﷺ: [من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة؟] فاشتريتها من صلب مالي، فأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين؟ قالوا: اللهم نعم، قال: انشدكم بالله وبالإسلام، هل تعلمون اني جهزت جيش العسرة من مالي؟ قالوا: اللهم نعم، ثم قال: أنشدكم بالله والإسلام، هل تعلمون ان رسول الله ﷺ كان على ثبير مكة، ومعه أبو بكر وعمر وأنا، فتحرَّك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض، قال:

(١) رواه الترمذي بإسناد صحيح ص٨٤٠، حديث ٣٧٠٥، وابن ماجه في المقدمة ١/ ٤١، حديث ١١٢.

فَرَكضه برجله فقال: [أسكن ثبير، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان]؟ قالوا: اللهم نعم، قال: الله أكبر! شهدوا لي ورب الكعبة أني شهيد ثلاثاً[1].

وعن أبي أُمامة بن سهل قال: (كنا مع عثمان وهو محصور في الدار، فدخل مدخلاً كان إذا دخله يسمع كلامه من على البلاط، قال: فدخل ذلك المدخل وخرج إلينا فقال: إنهم يتوعدوني بالقتل آنفاً! قال: قلنا: يكفيكهم الله يا أمير المؤمنين. قال: وبم يقتلونني؟ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: [لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: رجل كفر بعد اسلامه، او زنى بعد إحصانه، او قتل نفساً فيقتل بها]، فوالله ما أحببت أن لي بديني بدلاً منذ هداني الله، ولا زنيت في جاهلية ولا إسلام قط، ولا قتلت نفساً فبمَ يقتلونني؟)[2]

هل كان عثمان بن عفان ضعيفاً في إدارة خلافته؟

كثر الدق من الكتّاب المحدثين خاصة على أن أمير المؤمنين عثمان كان ضعيفاً في إدارة شؤون الخلافة، وان ضعفه ذاك جرّأ الغوغاء على التمرد عليه، ثم على قتله.! فهل كان عثمان ضعيفاً كما يظنون؟

---

(١) رواه الترمذي في كتاب المناقب (باب: في عدِّ عثمان تسميته شهيداً، وتجهيزه جيش العسرة..) حديث ٣٧٠٣، سنن الترمذي ص٨٤٢، طبعة دار الفيحاء ودار السلام، وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وقد روي من غير وجه عن عثمان.

(٢) رواه الإمام احمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين. حديث ٤٣٧، مسند الإمام احمد ١/ ٤٩١ بتحقيق: شعيب الارنؤوط وعادل مرشد، الطبعة الثانية ١٤٢٩ - ٢٠٠٨ مؤسسة الرسالة، بيروت، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٣/ ٦٣- ٦٤ طبعة الخانجي وابو داؤد في سننه حديث ٤٥٠٢، ص٨١٠ طبعة مكتبة المعارف بالرياض، والحاكم في المستدرك حديث ٨٠٢٨، المستدرك ٤/ ٣٩٠ ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت. وغيرهم.

وقبل الإجابة عن ذلك ننظر في سيرة سيدنا عثمان، فنراه من السابقين الأول الى الإنضواء تحت لواء الإسلام فقد عاش مع النبي ﷺ منذ فجر الإسلام الأول حتى انتقل الى جوار ربه، وعاش مع أبي بكر وعمر في خلافتيهما وكان الساعد والسند لهما، واكتسب من تقلّب الأحوال حنكة سياسية، وتولى أمر الخلافة، فسارت الأمور فيها في السنوات الست الأولى على خير ما يرام: يأمر الناس فيطاع، وكثرت الفتوحات في عهده، وكانت له عشيرة تتمتع بالقوة وبالبأس.. ومن كان كذلك لا يكون ضعيفاً، فإن الضعيف يبدو ضعفه إذا تولى امراً من الأمور في السنوات الأولى بل الأشهر الأولى لتوليه، وقد مضت سنوات على خلافته وأمر الخلافة يسير من الحسن الى الأحسن. وحين أطلت الغوغاء برأسها كان بإمكان الخليفة أن يقوم بالتنكيل بهم، وكان عدد تلك الطغمة في أول الأمر ليس بالكثير، ونظر جمهور الصحابة في المدينة الى ما يجري؛ فاقترحوا على الخليفة أن يتصدى لهم، بل يقوم بقتلهم، لكنه أبى إلا الصبر عليهم والعفو عنهم. وربما علم او ترجح لديه أن قتل هؤلاء قد يؤدي الى فتنة تسيل فيها الدماء التي لا تنقطع، فكان موقفه هذا من باب ارتكاب أخف الضررين؛ لذلك لم يستجب لطلب معاوية حين عرض عليه أن يبعث له جنداً يدافعون عنه وعن الخلافة؛ خشية أن يتجرأ عليه أحد. ولم يستجب له مرة أخرى حين طلب منه أن ينطلق معه إلى الشام خشية أن يداهمه الغوغاء وكم عرض عليه الكثير الكثير من الصحابة ان يتولواهم ردع هؤلاء الخارجين عن طاعته، لكنه كان يأبى ذلك. فلم يكن سيدنا عثمان ضعيفاً أمام الغوغاء، لكنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ آثَرَ ان يضحي بنفسه من أجل توحيد كلمة المسلمين – وإن لم يتحقق ذلك – وموقفه هذا: إما أن يكون إجتهاداً منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، او يكون متبعاً وصية النبي ﷺ التي أسرَّ له بها كما روت ذلك السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فلا تلتفت – اخي المسلم – الى أوهام قسم من المؤرخين والمستشرقين الذين اكثروا من إتهام عثمان بالضعف الشديد في خلافته.

عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُقتل مظلوماً

وردت أحاديث عن رسول الله ﷺ تنص على أن عثمان بن عفان سيقتل مظلوماً، ومن تلك الأحاديث:

١ – عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة، فمرّ رجل فقال: (يُقتل فيها هذا مظلوماً)[١] لعثمان.

٢ – عن عبد الله بن حوالة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (تهجمون على رجل معتجر ببردة من أهل الجنة يبايع الناس؟) قال: فهجمنا على عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معتجر ببردة يبايع الناس[٢].

وهذان الحديثان وأمثالهما من أعلام نبوته صلوات الله وسلامه عليه. فقد قُتِل سيدنا عثمان مظلوماً كما ذكر عليه الصلاة والسلام.

هل قصَّر الصحابة في نصرة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

كان أمير المؤمنين عثمان محبوباً من قبل الصحابة كلهم: فهم يعرفون حب النبي ﷺ له، ويذكرون مواقفه التي لا تُنسى بنصرة الإسلام. لذلك أراد الكثير الكثير من الصحابة أن

(١) رواه الإمام احمد في مسنده برقم ٥٩٥٣، المسند ٥/ ٣١٣، والترمذي في كتاب المناقب (باب: في مناقب عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) حديث ٣٧٠٨.

(٢) رواه ابو داؤد الطيالسي برقم ١٢٥٠، ١/ ١٧٦، دار المعرفة، بيروت.

يقفوا معه في تلك الفتنة ويدافعوا عنه؛ خشية أن يصيبه شيء من المكروه، وجاءوه مجتمعين وفرادى يعرضون عليه نصرتهم له ودفاعهم عنه، لكنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يأبى ذلك: جاءه المغيرة ابن شعبة، وأبدى له استعداد الكثير من الناس للدفاع عنه، وقال له – فيما قال –: (إن معك عدداً وقوة، وأنت على الحق وهم على الباطل. فقال له عثمان: (لن أكون أول من خَلَفَ رسول الله ﷺ في أمته بسفك الدماء)[1].

وطلب منه عبد الله بن الزبير أن يقاتلهم قائلاً له: يا أمير المؤمنين، إنَّ معك في الدار عصابة مستنصرة بنصر الله بأقلَّ منهم لعثمان؛ فأذن لي فلأقاتل. فقال: أنشد الله رجلاً إهراق فيّ دمه[2].

وجاءه زيد بن ثابت فقال له: (هذه الأنصار بالباب، إن شئت أن نكون أنصار الله مرتين، فقال: أما القتال فلا)[3].

ودخل عليه الحسن بن علي وقال له: يا أمير المؤمنين، أنا طوع يدك، فمرني بما شئت، فقال له عثمان: يا بن أخي، إرجع فاجلسْ في بيتك حتى يأتي الله بأمره، فلا حاجة لي في هراقة الدماء)[4].

وهكذا الأمر مع الزبير بن العوام، وحارثة بن النعمان، وغيرهما كثير: أما ردّ أمير المؤمنين عثمان فقد كان: (إن أعظمكم عندي غنىً من كف سلاحه ويده)[5].

ونظر الصحابة الى جرأة هؤلاء الغوغاء البغاة الذين حاصروا الدار، وخافوا على الخليفة

---

(١) رواه البخاري في كتابه التاريخ الصغير ١/ ١٠١ بتحقيق محمود ابراهيم زايد، الطبعة الأولى ١٤٠٦، دار المعرفة، بيروت.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٧٠.

(٣) المصنف لابن أبي شيبة ٧/ ٤٤٢، حديث ٣٧٠٧١.

(٤) فضائل الصحابة للإمام احمد بن حنبل ص١٧٠، حديث ٧٥٥.

(٥) المصنف لابن أبي شيبة ٧/ ٤٤٢، حديث ٣٧٠٧٠.

أن يصاب بسوء، فدخلوا من غير استشارته كما فعل عبد الله بن عمر، وأبو هريرة، والحسن والحسين، وعبد الله بن الزبير، وغيرهم وقد حملوا السلاح حتى دخلوا الدار، فقال أمير المؤمنين عثمان لهم: أعزم عليكم لما رجعتم فوضعتم اسلحتكم ولزمتم بيوتكم[1].

وهكذا قطع أمير المؤمنين الطريق على كل من كان يريد الدفاع عنه، وقد قال سليط بن أبي سليط: نهانا عثمان عن قتالهم، ولو أذن لنا لضربناهم حتى نخرجهم من اقطارها[2].

وقال ابن سيرين: (كان مع عثمان يومئذ في الدار سبعمائة، ولو يدعهم لضربوهم – إن شاء الله – حتى يخرجوهم من اقطارها، منهم: ابن عمر، والحسن بن علي، وعبد الله بن الزبير[3]).

وقال الحسن البصري: (لو أرادوا أن يمنعوه بأرديتهم لمنعوه)[4].

يتضح من هذا أن الصحابة امتثلوا أمر أمير المؤمنين، فلم يقصروا بنصرة خليفتهم، لكنه الإصرار منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على منع الصحابة عن الدفاع عنه.

الحكمة في موقف أمير المؤمنين عثمان

حين نتأمل في هؤلاء البغاة والغوغاء نرى أنهم من رعاع الناس، فلم يُعرف الواحد منهم بخلق كريم ولا بمركز اجتماعي مرموق، إنهم من الناس الغوغاء، طلبوا من أمير المؤمنين أن يخلع نفسه وإلا قتلوه. ولعل أمير المؤمنين ما غاب عن ذهنه ما أوصاه به النبي ﷺ حين قال

(١) تاريخ خليفة بن خياط ١/ ١٧٤، بتحقيق د. أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية ١٣٩٧، مؤسسة الرسالة، دمشق بيروت.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ١/ ١٧٣.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٧١.

(٤) المصنف لابن أبي شيبة ٧/ ٥٢٤ حديث ٣٧٦٩٤.

له: (يا عثمان، إنه لعل الله يقمصك قميصاً، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم)[1].

وننظر الى رأي أكثر صحابة النبي، فإذا هم يرفضون الإستجابة لمطالب هؤلاء. وهناك قلة قليلة من الصحابة يرون أن يخلع عثمان نفسه ليعصم دمه. وقد دخل على عثمان المغيرة ابن الأخنس[2] وحدّثه بخلع نفسه. وبينما كانوا يتحدثون في هذا الأمر دخل عليهم عبد الله ابن عمر فقال له عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: انظر ما يقول هؤلاء، يقولون: إخلعها ولا تقتل نفسك، فقال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (أرأيت إن فعلت أمُخَلَّفٌ أنت في الدنيا؟ قال: لا، قلت أرأيت إن لم تفعل هذا يزيدون على أن يقتلوك؟ قال: لا، قلت: أفيملكون الجنة والنار؟ قال: لا، قلت: فإني لا أرى أن تسنّ هذه السنة في الإسلام: كلما استخطوا أميراً خلعوه، ولا أن تخلع قميصاً البسكه الله عز وجل[3]).

والمتأمل في موقف أمير المؤمنين عثمان في موقفه بعدم خلع نفسه يراه القمة في الحكمة؛ ذلك أن الذين قاموا بهذه الفتنة كانوا من الغوغاء والبغاة، ولم يكن لهم في يوم مقام مشهود ولا موقف محمود، وما كانوا من رجالات هذا الدين، ولا من العلماء... فإن الإستجابة لهم يجرّئ الأوباش من الناس مستقبلاً على الذهاب بهيبة الخلافة؛ إذ كلما سخط قوم على أميرهم خلعوه كما قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ! فإن الخليفة حين يضحي بحياته، فإنما يقوم بتقديم مصلحة الأمة على مصلحته الشخصية، فيكون هذا من باب دفع الضرر العام بالضرر الخاص والله اعلم.

---

(١) رواه الترمذي بإسناد صحيح في كتاب مناقب عثمان بن عفان ص٨٤٠، رقم ٣٧٠٥، وابن ماجه في المقدمة ١/ ٤١، حديث ١١٢.

(٢) صحابي جليل، أبلى بلاءاً حسناً في الدفاع عن أمير المؤمنين عثمان، ثُم قُتل يوم الدار معه. ينظر أسد الغابة لابن الأثير ٤/ ١٨٠، رقم ٥٠٦٧.

(٣) رواه الإمام احمد في فضائل الصحابة ص١٧٥، حديث ٧٦٩.

كيف قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

اقتحمت الغوغاء داره بعد ان ذهب المدافعون عنه بأمر منه. فمنهم من كان يجؤه بنعل سيفه، وآخر يلكزه. أما هو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فقد كان مصحفه بيده وهو يقرأ سورة البقرة، وكانوا يهابون قتله فانقض عليه – الموت الأسود – والأظهر انه عبد الله بن سبأ فقد كان حريصاً أن لا يظهر أمره، فخنقه خنقاً شديداً، وضربه الغافقي بحديدة كانت معه، وضربه الآخر بسيف فقطع يده؛ فقال عثمان: (أما والله إنها لأول كف خطت المفصّل)(٤).

وضربه شخص بنصل طويل عريض، فوجأه في ترقوته؛ فقال عثمان: (بسم الله توكلت على الله) وسال الدم على لحيته والمصحف بين يديه، وسال الدم على المصحف ايضاً حتى وقف عند قوله تعالى ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ البقرة: ١٣٧، وضربوه جميعاً ضربة واحدة. وبعد ذلك انتهبوا كل ما في داره، ثم نهبوا بيت المال، وقد قتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الجمعة في الثامن عشر من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة.

لم يشترك أحد من الصحابة في قتله

هناك روايات باطلة، رواها الضعفاء والهلكة، تزعم أن من الصحابة من اشترك في قتل عثمان، وان الفتنة وقعت بين الصحابة بعضهم مع بعض.!

وليس الأمر كما زعموا؛ فإن الصحابة لم يشتركوا في قتل عثمان ولا في التحريض على قتله ولا في الخروج عليه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ولم يتهم بعض الصحابة بعضاً في قتله، ولم تقع تلك الفتنة

(٤) الكتاب المصنف لابن أبي شيبة ٧/ ٥٢١، رقم ٣٧٦٧٩.

بين الصحابة أنفسهم، لكنها وقعت بين الصحابة وناس آخرين من غيرهم، والصحابة هم الذين وقفوا مع سيدنا عثمان. وقد أخرج خليفة بن خياط في (تاريخه) عن عبد الأعلى بن الهيثم عن أبيه قال: (قلت للحسن: أكان فيمن قتل عثمان أحد من المهاجرين والأنصار؟ قال: لا، كانوا أعلاجاً من أهل مصر)[1].

حزن الصحابة على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

ولقد حزن الصحابة على قتل أمير المؤمنين عثمان حزناً شديداً، وكان أكثرهم حزناً علي ابن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فقد بكى عليه بكاءاً شديداً وقال: (تباً لهم آخر الدهر)، وقال: (اللهم إني أبرأ اليك من دم عثمان)[2]. واستبشع الصحابة تلك الجريمة حتى قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (لو لم يطلب الناس بدم عثمان لَرُموا بحجارة من السماء)[3].

وروى البخاري عن سعيد بن زيد أنه قال: (لو أن أُحُداً ارفضّ للذي فعلتم بعثمان لكان محقوقاً أن يرفض)[4].

وأخرج ابن سعد عن ابي صالح قال: (كان ابو هريرة إذا ذُكِر ما صنع بعثمان بكى. قال: فكاني أسمعه يقول: هاه، هاه، ينتحب)[5].

وأخرج ابن عساكر عن حذيفة قال: (أول الفتن قتل عثمان بن عفان، وآخر الفتن خروج الدجال، والذي نفسي بيده لا يموت رجل وفي قلبه مثقال حبة من حبِّ قتل عثمان إلا تبع

(١) تاريخ خليفة بن خياط ١/ ١٩٢ تحقيق: سهيل زكار، نشر وزارة الثقافة السورية ١٩٦٨، دمشق.
(٢) الطبقات لابن سعد ٣/ ٨٢.
(٣) الطبقات لابن سعد ٣/ ٨٠.
(٤) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب: إسلام سعيد بن زيد) حديث ٣٨٦٢.
(٥) الطبقات لابن سعد ٣/ ٨١.

الدجال إن ادركه، وإن لم يدركه آمن به في قبره)[1].

وأخرج ابن سعد ان عبد الله بن سلام قال يوم قُتِل عثمان:

(اليوم هلكت العرب)[2].

وقالت ام المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (قُتِل مظلوماً، لعن الله قَتَلَتَه)[3].

وقال حسّان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أتركتُم غزو الدروب وراءكم

وغزوتمونا عند قبر محمد

فلبئس هدي المسلمين هديتمُ

ولبئس امرُ الفاجر المتعمدِ

إن تقدموا نجعل قِرى سرواتكم

حول المدينة كلَّ لينٍ مِذْود

او تُدْبروا فلبئس ما سافرتمُ

ولمثل امر أميركم لم يرشدِ

وكأن أصحاب النبيّ عشيةً

بُدُنٌ تُذبح عند باب المسجد

أبكي أبا عمرو لحسن بلائه

أمسى مقيماً في بقيع الغرقد

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٣٩/ ٤٤٧.

(٢) الطبقات لابن سعد ٣/ ٨١.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٣٩/ ٤٨٨.

عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الإمام الحق

لقد كان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إماماً بحق، مستقيماً على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وكانت خلافته صحيحة بالإجماع، وقد قُتِل مظلوماً، ونصَّ النبي ﷺ على هذا فقال:

[يقتل فيها هذا مظلوماً (لعثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)] (١).

كما نصَّ عليه الصلاة والسلام على أن عثمان شهيد، وذلك حين صعد عليه السلام جبل أُحُد، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال النبي ﷺ:

[اسكن أحد – أظنه ضربه برجله – فليس عليك إلا نبي وصدِّيق وشهيدان(٢)].

وهذا الحديث صريح في أن عثمان سيكون شهيداً.

ونختم الحديث في سيدنا عثمان بما قاله تقي الدين السبكي المتوفى سنة ٧٥٦ هـ:

(اعتقادنا أن الإمام الحق كان عثمان، وانه قُتِلَ مظلوماً، وحمى الله الصحابة من مباشرة قتله، فالمتولي قتله كان شيطاناً مريداً، ثم لا نحفظ عن أحد منهم الرضا بقتله، إنما المحفوظ الثابت عن كل منهم إنكار ذلك)(٣). استشهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد روى عن النبي ﷺ ١٤٦ حديثاً(٤).

أدعو الله ان يجمعنا بأمير المؤمنين عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الفردوس الأعلى.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب المناقب (باب: قولهم: كنا نقول: أبو بكر وعمر وعثمان) حديث ٣٧٠٨، جامع الترمذي ص٨٤٤، طبعة الفيحاء ودار السلام.

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (باب: مناقب عثمان بن عفان)، حديث ٣٦٩٩، صحيح البخاري ص٩٣٧.

(٣) التقرير والتحبير شرح التحرير لابن أمير الحاج ٢/ ٣٤٧، دار الفكر، ١٤١٧– ١٩٩٦، بيروت.

(٤) أسماء الصحابة الرواة لابن حزم ص٥٦، وتلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزي ص٢٦٤، الطبعة الأولى ١٤١٨– ١٩٩٧، دار الارقم بن أبي الأرقم، بيروت.

أمير المؤمنين

علي بن ابي طالب

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

هو ابو الحسن أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، نسبة الى هاشم بن عبد مناف.

وقد سمته أمه فاطمة بنت أسد (حيدرة)، ولم يكن والده ابو طالب حاضراً إذ ذاك. فلما عاد لم يعجبه هذا الاسم فسماه علياً. وقد كان أصغر أولاد أبي طالب.

ولد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة، وهو أول من أسلم من الصبيان، ولم يسجد لصنم. وقد نشأ وترعرع في بيت النبوة، وهو ابن عم النبي ﷺ، وأحد السابقين الى الإسلام، وصهره على ابنته فاطمة الزهراء، وأبو السبطين: الحسن والحسين وأحد العشرة المبشرة بالجنة، وأحد البدريين الذين غفر الله لهم، وأحد الستة الذين اختارهم عمر بن الخطاب لّما أصيب ليختاروا واحداً منهم خليفة من بعده، وأحد الذين توفي النبي ﷺ وهو عنهم راضٍ، وأحد الخلفاء الراشدين المهديين، وأحد علماء الصحابة وشجعانهم وزهادهم: قَتَلَ صناديد الكفر وطواغيت الشرك لّما تنازلوا معه، وقد شهد المشاهد مع النبي ﷺ إلا غزوة تبوك، فقد استخلفه النبي ﷺ في الأهل والذرية، وأعطاه راية المهاجرين في مواطن عدة، ولم يرتكب قبيحة من قبائح الجاهلية، وقد عُرف بالصدق والصراحة، وصلة الرحم، وقرى الضيف، وكثرة الصدقة والسخاء والبذل... وكثرت فضائله، ولم يَرِدْ في حق أحد من الصحابة ما ورد في حق أمير المؤمنين عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حتى قال الإمام احمد واسماعيل القاضي والنسائي وابو علي النيسابوري: (لم يردْ في حق أحد من الصحابة في الأسانيد الجياد أكثر مما جاء في علي)[1].

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٧/ ٩١.

وقال ابن عبد البر: (وفضائله لا يحيط بها كتاب)[1].

ولا عجب في ذلك، فهو ثمرة من ثمرات التربية النبوية. وإذا ذُكر العلم فإنه عالم من علماء الصحابة، عُرف بعلمه الواسع وبخاصة بالسنة النبوية حتى قالت فيه أُم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (أما إنه لأعلم الناس بالسنة).

وقد عُرف – ايضاً – بين الصحابة فيما عُرِف بحلِّ المشكلات بين الناس، وقضائه بينهم فـ(كان عمر يتعوذ من معضلة ليس لها أبو حسن[2]).

من فضائل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

فضائل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كثيرة، وقد قال ابن حجر العسقلاني: (ومناقبه كثيرة حتى قال الإمام احمد: لم يُنقل لأحد من الصحابة ما نُقل لعلي)[3]. وقد كتب لقسم منها أن تنتشر بين الناس؛ بسبب الإختلاف الذي حصل، بعد أن تولى الخلافة: فخرج عليه من خرج، وحاربه من حاربه، وتنقصه من تنقصه؛ فكان ذلك من اسباب قيام أهل الحق بنشر فضائله بين الناس.

وقد ضمّن النسائي في سننه الكبرى ما اختص به سيدنا علي من الفضائل والمكارم عدداً كثيراً من احاديث النبي فيها، وهذه نبذة قليلة منها:

١ – عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: [لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه]. قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غَدَوا على

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ٣/ ١١١٥.

(٢) اسدُ الغابة لابن الأثير ٤/ ١١٠، تحقيق: عادل احمد الرفاعي، الطبعة الأولى ١٤١٧– ١٩٩٦، دار إحياء التراث العربي.

(٣) الاصابة ٤/ ٥٦٥.

رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها فقال: [أين علي بن أبي طالب؟.] فقالوا: يشتكي عينيه يا رسول الله. قال: [فأرسِلوا اليه فأتوني به]. فلما جاء بصق في عينيه ودعا له؛ فبرأ، حتى كأن لم يكن به وجع؛ فأعطاه الراية، فقال عليّ: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: [أنفذْ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم الى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خير لك من أن يكون لك حُمُرُ النَعَم[1]].

وفي رواية للبخاري ايضاً: [لأعطينَّ الراية – او ليأخذنَّ الراية – غداً رجلاً يحبه الله ورسوله، او قال: يحب الله ورسوله يفتح الله عليه[2]].

وفي هذا الحديث فضيلة مهمة من فضائل سيدنا علي لا ينالها إلا العظماء من الرجال، وهي شهادة من النبي ﷺ له بأنه يحبه الله ورسوله، او أن علياً يحب الله ورسوله. وأية واحدة من هاتين الصفتين، تجعل صاحبها مع من رضي الله عنهم ورضوا عنه.

٢ – عن مصعب بن سعد عن أبيه أن رسول الله ﷺ خرج الى تبوك واستخلف علياً فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟! قال: [ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى؟ إلا أنه لا نبيّ بعدي[3]] .

وتبدو فضيلة سيدنا علي في هذا الحديث واضحة؛ إذ جعله النبي بمنزلة هرون من موسى عليهما السلام فقد جعله وزيره. فإن سيدنا موسى لما ذهب لميقات ربه للمناجاة، طلب من أخيه هرون أن يخلفه في قومه. وكل من يقرأ سبب قول النبي ﷺ لهذا الحديث، يعلم أن سيدنا علياً أصابه الهمّ والحزن؛ إذ لم يشترك في غزوة غزاها النبي ﷺ وقد بدا حزنه

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة (باب: مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه) حديث ٣٧٠١، صحيح البخاري ص٩٤٠.

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة (باب: مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه) حديث ٣٧٠٢، صحيح البخاري ص٩٤٠.

(٣) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب: غزوة تبوك، وهي غزوة العسرة)، حديث ٤٤١٦، صحيح البخاري ص١٠٩٤.

واضحاً حين قال للنبي الكريم: (أتخلفني في الصبيان والنساء؟) ويأتي الجواب من النبي ﷺ تطييباً لخاطره [ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى؟] [1].

٣ – عن أبي الطفيل رضي الله عنه قال: جمع علي رضي الله عنه الناس في الرحبة، ثم قال لهم: أنشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام؛ فقام ثلاثون من الناس. وقال ابو نعيم: فقام ناس كثير فشهدوا حين اخذ بيده؛ فقال للناس: [أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟] قالوا: نعم يا رسول الله. قال: [من كنت مولاه فهذا مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه]. قال: فخرجت وكأنَّ في نفسي شيئاً، فلقيت زيد بن أرقم فقلت له: اني سمعت علياً رضي الله عنه يقول: كذا وكذا. قال: فما تنكر؟قد سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك له[2].

وفي هذا الحديث فضل لا يخفى لسيدنا علي، فهو مولى كل مؤمن وناصره، وذلك لما اتسم به من العلم وصفاء النفس والسيرة الحسنة.. وسبب ورود هذا الحديث أن بريدة بن الحصيب صحب علياً الى اليمن، ولقي بريدة منه جفوة، ولما عاد شكاه الى النبي ﷺ؛ فردَّ

(١) حين نتأمل في حديث الإستخلاف هذا، نرى فيه تشبيهاً لمنزلة عليّ عند النبيّ ﷺ بمنزلة هرون عند أخيه موسى عليهما السلام من حيث الإستخلاف المؤقت فقط، وقد انتهت مهمة هرون حين عاد موسى من مناجاة ربه، وانتهى استخلاف سيدنا علي حين عاد النبي ﷺ الى المدينة من الغزوة.
ونقرأ سيرة النبي ﷺ، فنرى أن سيدنا علياً لم يكن هو الوحيد الذي استخلفه في غزواته وحجه وعمراته، فقد استخلف عبد الله بن أُم مكتوم أكثر من مرة، واستخلف السائب بن عثمان بن مظعون في غزوة بواط في السنة الثانية من الهجرة، واستخلف عاصم بن عدي بن الجد بن عجلان على العالية منطقة قباء، واستخلف عثمان بن عفان في غزوة ذات الرقاع، وزيد بن حارثة في غزوة المريسيع، وأبا لبابة بن عبد المنذر في غزوة بني قينقاع وغزوة السويق، وأبا ذر الغفاري في غزوة بني المصطلق... والدارس لسيرة النبي ﷺ يرى أنه قد استخلف أكثر من عشرين من الصحابة. فلو أنَّ كل من استخلفه النبي يصير خليفة من بعده، لكان أكثر من عشرين من هؤلاء الصحابة قد استحق أن يكون خليفة للنبي ﷺ، ولو كان هذا الاستخلاف يدلّ على خصوصية في سيدنا علي لما جاز استخلاف غيره.

(٢) رواه الإمام احمد بإسناد صحيح ١٤/ ٤٣٦- ٤٣٧، برقم ١٩١٩٨، وذكر في المسند عدد من الأحاديث بنحوه.

النبي على بُريدة بهذا الحديث.

والمتأمل بهذا الحديث وبما كان عليه الصحابة من المهاجرين والأنصار لا يحمله على الموالاة في الإمامة؛ لأن ذلك لا يتفق مع ما كان عليه الصحابة الذين قدّموا الخلفاء الثلاثة في إمرة المؤمنين. فلا يحمل الحديث إذن إلا على المحبة والنصرة والولاء للإسلام.

٤ – قال أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة! إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إليّ: (أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق)[١].

وهذا حديث صحيح صريح في المكانة العالية التي تبوّأها علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فإن كل من يحبه بسبب إيمانه بالله الإيمان الحق، ونصرته للإسلام وجهاده في سبيل الله، وعلمه وورعه وغير ذلك من الصفات الحميدة التي كان يتصف بها سيدنا علي ... فإن مَنْ كانت محبته لسيدنا علي هكذا يكون مؤمناً.

ولا يدخل في هذا الباب ما وقع بين الصحابة من اختلافات ودماء كانوا مجتهدين فيها، كما وقع بين علياً من جهة وطلحة والزبير من جهة أخرى؛ لأن كل واحد منهم مبشّر بالجنة: فلا يجوز الحكم على واحد منهم بالنفاق مثلاً، ولا يجوز أن نأخذ حديثاً ونترك الأحاديث الأخرى.

٥ – قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أقرؤنا أُبي، وأقضانا علي..)[٢].

وهناك عدد من الروايات في أحكام قضائية كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد أصدرها، لكنَّ سيدنا عليّاً اعترض عليها؛ فأقرّه على اعتراضه، وأوقف تنفيذ الحكم[٣]، وأُثِرَ عن سيدنا

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان (باب: الدليل على أن حب الأنصار وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من الإيمان وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق) صحيح مسلم ١/ ٨٦، حديث٧٨.

(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير (باب: قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ البقرة: ١٠٦، صحيح البخاري ص١١١١، حديث ٤٤٨١.

(٣) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى تأليف محب الدين الطبري ص٨١، دار الكتب المصرية، القاهرة.

أمير المؤمنين عمر قوله: (لولا علي لهلك عمر)[1].

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (يتعوذ من معضلة ليس فيها أبو حسن)[2]. وقد سأل عمر علياً يوماً عن مسألة، فأجابه عن مسألته فقال عمر: (أعوذ بالله أن أعيش في يوم لست فيه يا أبا الحسن)[3].

محبة الصحابة لأمير المؤمنين عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

الفضائل التي كان يتمتع بها أمير المؤمنين سيدنا علي، وسابقته في الإسلام، وجهاده في سبيل الله، ومنزلته لدى النبي فوق قرابته منه صلوات الله وسلامه عليه، جعل الصحابة يحبونه من صميم قلوبهم، ويثنون عليه الثناء الحسن. فهذا سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يقول: (لقد أُعطي عليّ بن أبي طالب ثلاث خصال، لأن تكون لي خصلة منها أحب إليّ من أن أعطى حمر النعم. قيل ما هنَّ يا أمير المؤمنين؟ قال: تزوجه فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وسكناه المسجد مع رسول الله ﷺ؛ يحلّ له فيه ما يحل له، والراية يوم خيبر)[4].

ويقول سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [في علي ثلاث خصال] - لأنْ يكون لي واحدة منهن أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها - سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من كنت مولاه...) و(أنت مني بمنزلة هرون من موسى..)و(لأعطين الراية..)[5].

وسأل معاوية ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وعن أبيهما عن مناقب علي، فقال ابن عباس:

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ٣/ ١١٠٣ بتحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى ١٤١٢، دار الجيل، بيروت.

(٢) ذخائر العقبى ص٨٢.

(٣) ذخائر العقبى ص٨٢.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٣/ ١٣٥، حديث ٤٦٣١.

(٥) السنة لابن أبي عاصم ٢/ ٦١٠، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٤٠٠، المكتب الإسلامي، بيروت.

(رحم الله ابا الحسن، كان – والله – عَلَمَ الهدى، وكهفَ التقى، ومحل الحجى، وطودَ البهاء، ونور السرى[1] في ظلم الدجى، داعياً الى المحجة العظمى، عالماً بها في الصحف الأولى، وقائماً بالتأويل والذكرى، متعلقاً بأسباب الهدى، وتاركاً للجور والأذى، وحائداً عن طرقات الردى، وخير مَنْ آمن واتقى، وسيّد من تقمص[2] وارتدى، وافضل من حجَّ وسعى، واسمح من عدل وسوى، وأخطب أهل الدنيا إلا الأنبياء والنبي المصطفى، وصاحب القبلتين فهل يوازيه موحد؟! وزوج خير النساء، وأبو السبطين، لم تَرَ عيني مثله ولا ترى الى يوم القيامة واللقاء. من لَعنه فعليه لعنة الله والعباد الى يوم القيامة)[3].

ولقد عرف الصحابة الكرام المنزلة العالية التي كان يتبوّأها أمير المؤمنين علي، لكنهم لم يروا فيه العصمة؛ لأن العصمة لا تكون إلا للنبي ﷺ فيما يبلغه عن الله تعالى، فهو كغيره من صحابة النبي، يجوز عليه ما يجوز عليهم.

زهـــده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

إذا ذكر الزهّاد ذكر في أولهم أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ذلك الذي استهان بزخارف الدنيا وملذاتها بعد ان جاءت اليه منقادة تجرجر أذيالها بكل ما تحمله من مباهج ومغريات من ذهب وفضة وخيل وأنعام وخدم وحشم وحرس يغطون ضوء الشمس؛ فزهد في ذلك كله كل الزهادة وأعرض عنها أيما إعراض، فكان مثلاً صالحاً لكل حاكم صالح ياتي بعده. وهذه نماذج من زهده:

---

(١) السرى: السير ليلًا.

(٢) تقمص: لبس القميص.

(٣) مجمع الزوائد لابن حجر الهيتمي ٩/ ١٥٩، دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي، القاهرة – بيروت، طبع سنة ١٤٠٧هـ.

عن الحسن بن صالح قال: تذاكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز، فقال: (أزهد الناس في الدنيا: علي بن أبي طالب)[١].

وعن زيد بن وهب قال:خرج علينا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعليه رداء وإزار قد وثقه بخرقة؛ فقيل له، فقال: (إنما ألبس هذين الثوبين ليكونا ابعد لي من الزهو، وخيراً لي في صلاتي، وسنة للمؤمن)[٢].

وعن عبد الله بن شريك عن جده عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه أُتي بفالوذج، فوضع قدامه بين يديه فقال: (إنك طيب الريح، حسن اللون، طيب الطعم، ولكن أكره أن أعوّد نفسي ما لم تعتده)[٣].

وعن مجمع بن سمعان التيمي قال: خرج علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسيفه الى السوق فقال: (مَنْ يشتري مني سيفي هذا؟ فلو كان عندي أربعة دراهم اشتري بها إزاراً ما بعته[٤]).

عدله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

جاء جعدة بن هبيرة الى سيدنا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا أمير المؤمنين، يأتيك الرجلان، أنت أحب الى أحدهما من نفسه، او قال: من اهله وماله، والآخر لو يستطيع ان يذبحك لذبحك، فتقضي لهذا على هذا؟!!

قال: فلهزه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: أنَّ هذا شيء لو كان لي فعلت، ولكن إنما ذا شيء لله.[٥]

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٨/ ٦.

(٢) البداية والنهاية ٨/ ٤.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم ١/ ٨١.

(٤) البداية والنهاية ٨/ ٤.

(٥) حياة الصحابة للكاندهلوي ٢/ ١٠٨، طبع سنة ١٩٦٨، مطبعة السعادة، القاهرة.

شجاعته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

من نافلة القول التحدث عن شجاعة سيدنا علي؛ لأن اخبار شجاعته تواترت وسارت بذكرها الركبان: فقد اشترك في غزوات النبي ﷺ كلها إلا غزوة تبوك فإن النبي ﷺ استخلفه على المدينة، كما اشترك بعدد كثير من السرايا التي أرسلها النبي الكريم هنا وهناك، ويكفينا ان نعلم ان طلحة بن عثمان – وكان حامل راية المشركين في غزوة أُحُد – طلب المبارزة مراراً، فبارزه علي وقطع رجله فوقع على الأرض وانكشفت عورته، فناشده الله والرحم أن لا يجهز عليه؛ فتركه علي ولم يقتله.!

وبعد أن استشهد مصعب بن عمير – وكان حامل راية المسلمين – حمل الراية بعده علي، فاندفع كالأسد الهصور، وقتل عدداً ليس بالقليل من المشركين.

ودافع في الغزوة نفسها عن النبي لّما تجمع المشركون ليقتلوه عليه الصلاة والسلام بعد أن وقع في الحفرة، وقد ناله ما ناله من الشدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذه الغزوة، حتى أصابته ستة عشر ضربة في ذلك اليوم.

وفي غزوة بني النضير خرج (عَزْوَك) – وكان شجاعاً رامياً – مع نفر من اليهود لينالوا من المسلمين. فكمن لهم سيدنا علي، وشدّ عليهم شدة قَتَلَ فيها (عزوك) وفَرَّ من معه من اليهود.

وفي غزوة الأحزاب نازل سيدنا علي عمرو بن ودّ العامري فقتله علي. وفي غزوة بني قريظة كان سيدنا علي حامل راية رسول الله ﷺ، وقد صاح بأعلى صوته وهم محاصرو بني قريظة: يا كتيبة الإيمان، وتقدّم هو والزبير بن العوّام؛ فأدخل الله الرعب في قلوب اليهود، ونزلوا على حكم سعد بن معاذ، وكان حكمه: أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى نساؤهم وذريتهم، وتقسم أموالهم. وهكذا كان.

وفي غزوة خيبر، صار المسلمون يفتحون حصونها حصناً بعد حصن. واستعصى عليهم (حصن الغموص)؛ فدعا الرسول علياً وكان رمداً فبصق في عينيه ودعا له فبرئ بإذن الله، فأعطاه الراية، وفتح الله على يديه.وهناك عشرات المواقف التي تجلت في علي الشجاعة الحكيمة في صورة من أروع صورها.

خطبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الجهاد

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالبرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطيباً لا يبارى. وهذه واحدة من خطبه قام بإلقائها بعد أن أصابه ما أصابه من تخاذل جيشه وعدم طاعتهم له. لقد تألّم من ذلك، حتى صار لا يخفي تبرمه من خذلانهم وعدم طاعتهم.! ومع ذلك لم يستسلم، وظل يعمل في استنهاض همة جيشه. ويبدو ذلك واضحاً في خطبته العصماء التي تتجلى فيها البلاغة والفصاحة، ويسمو فيها البيان العربي الأصيل، والأسلوب الأدبي الرائع، بعد أن علم ان خيلاً لمعاوية وردت الأنبار، وقتلوا عامله حسّان بن حسّان البكري.! فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه محمد ﷺ ثم قال:

(أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فمن تركه رغبةً عنه ألبسه الله الذل، وسيما الخسف[1]، ودُيِّثَ بالصغار[2]، وقد دعوتكم الى حرب هؤلاء القوم ليلًا ونهاراً، سراً وإعلاناً، وقلت لكم: اغزوهم من قبل أن يغزوكم، فوالذي نفسي بيده، ما غُزي قوم قط في عُقر دارهم إلا ذلوا، فتخاذلتم وتواكلتم وثقل عليكم قولي، واتخذتموه وراءكم ظهرياً حتى

(١) النقيصة والذل.

(٢) أي ذُلِّل.

شُنَّتْ عليكم الغارات. هذا أخو غامد[1] قد وردت خيله الأنبار، وقتلوا حسان بن حسان، ورجالاً منهم كثيراً ونساءاً، والذي نفسي بيده، لقد بلغني أنه كان يُدْخَلُ على المرأة المسلمة والمعاهدة فتنتزع أحجالها ورُعثُها[2] ثم انصرفوا موفورين لم يُكلمْ احد منهم كلْمًا، فلو أن امرأً مسلماً مات من دون هذا أسفاً ما كان عندي فيه ملوماً، بل كان به عندي جديراً. يا عجباً كل العجب! عجب يميت القلب، ويشغل الفهم، ويكثر الأحزان من تظافر هؤلاء القوم على باطلهم وفشلكم عن حقكم، حتى أصبحتم غرضاً تُرمَون ولا تَرْمُون، ويُغار عليكم ولا تغيرون، ويعصى الله فيكم وتَرْضون، اذا قلت لكم: أغزوهم في الشتاء قلتم: هذا أوان قُرّ وصرّ[3]، وإن قلت لكم: أغزوهم في الصيف قلتم: هذه حّمارة القيظ[4]، أنظِرْنا ينصرم الحرّ عنا. فإذا كنتم من الحر والبرد تفرون فأنتم والله من السيف أفرّ. يا أشباه الرجال ولا رجال، ويا طغام الأحلام، ويا عقول ربات الحجال! والله لقد أفسدتم عليّ رأيي بالعصيان، ولقد ملأتم جوفي غيظاً، حتى قالت قريش: ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا رأي له في الحرب. لله درّهم! ومنْ ذا يكون اعلم بها مني أو أشد لها مراساً، فوالله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، ولقد نيّفت اليوم على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يُطاع)[5].

(١) هو سفيان بن عوف من بني غامد، بعثه معاوية لشن الغارات.

(٢) الرعثة: القرط.

(٣) أي شدة البرد.

(٤) شدة الحر.

(٥) مختارات من ادب العرب لأبي الحسن علي الحسني الندوي ٢/ ٤٠- ٤٢، الطبعة الثانية ١٤٣٠-٢٠٠٩، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، نقلاً عن كتاب الكامل للمبرد ١/ ١٩- ٢٢ تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم والسيد شحاتة.

أمير المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والشعر

نسب الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عدد من القصائد، تتجلى فيها الحكمة، والتربية الهادفة، فوق ما تتسم به من بلاغة عالية وبيان مشرق.

ومن ذلك قوله في الفرج بعد الشدة:

إذا اشتملت على اليأس القلوب
وضاق بما به الصدر الرحيب
ولم ترَ لإنكشاف الضر وجهاً
ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوطٍ منك غوث
يمنّ به القريب المستجيب
وكل الحادثات إذا تناهت
فموصول بها الفرج القريب[1]

وقوله في الصبر:

ألا فاصبر على الحدث الجليل
ودارِ جواك بالصبر الجميل
ولا تجزع فإن أعسرت يوماً
فقد أيسرت في الدهر الطويل

(١) البداية والنهاية ٨/ ١١.

ولا تظننْ بربك ظن سوء
فإن الله أولى بالجميل
فإن العسر يتبعه يسار
وقول الله أصدق كل قيل
فلو أن العقول تجرُّ رزقاً
لكان الرزق عند ذوي العقول
فكم من مؤمن قد جاع يوماً
سيروى من رحيق السلسبيل[1]

وقوله في الصداقة:

فلا تصحب أخا الجهـ
ـل وإياك وإياه
فكم من جاهل أودى
حليماً حين آخاه
يقاس المرء بالمر
ء اذا ما المرء ماشاه
وللقلب على القلـ
ـب دليل حين يلقاه[2]

(١) البداية والنهاية ٨/ ١١.
(٢) البداية والنهاية ٨/ ١٢.

كيف صارت الخلافة لسيدنا علي رضي الله عنه

بعد أن استشهد أمير المؤمنين عثمان ظلماً على ايدي البغاة الجفاة الذين جاءوا من أقطار عدة، جاء أصحاب النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار ممن يقيم بالمدينة – وليس فيهم احد من الغوغاء ممن اشترك في قتل أمير المؤمنين عثمان – وأرادوا مبايعة سيدنا علي بالخلافة؛ ذلك لأنهم لم يروا أفضل منه لتوليها. واعتذر سيدنا علي على قبولها أول الأمر، وكان مما قاله لهم: (دعوني والتمسوا غيري... ولعلي أسْمَعُكمْ وأطوعُكُم لمن ولّيتموهُ أمركم، وأنالكم وزيراً خير لكم مني أميراً)[1]، ولكنهم الحوا عليه بأن يقبلها وقالوا: لا والله ما نعلم أحداً أحقّ بها منك، وكان مع من جاء من المهاجرين والأنصار إلى علي: طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام. فلم يطلب سيدنا علي الخلافة بنفسه، ولم يكن حريصاً عليها، ولم يقبلها إلا بعد أن ألحّ عليه صحابة النبي ﷺ بقبولها، خشية ازدياد الفتن وانتشارها. هكذا قبل تولي الخلافة مشترطاً أن تكون البيعة له علنية في المسجد. وخرج سيدنا علي الى المسجد فبايعه المهاجرون والأنصار وكل من حضر.

أما معاوية بن ابي سفيان فقد كان والياً على الشام. وحين بويع علي بالخلافة لم ينكر إمامته، ولكن طالبه ان يقيم الحدّ الشرعي على قتلة عثمان الذين اندسوا في جيش أمير المؤمنين علي. ونظر أمير المؤمنين الى هذه المعضلة؛ فرأى أن إنزال القصاص بالجناة في تلك الأحوال تخلق له مشكلات كثيرة مع عدد من القبائل التي أرادته للخلافة، وأن ذلك قد يكون سبباً في تفرّق الأمة أكثر؛ لذلك طالب المعارضين له أن يبايعوه أولاً؛ ليلتئم شمل الأمة وتتحقق وحدتها، وبعد ذلك يقوم بمحاكمة من توجه لهم التهمة بالقتل، ويقام الحد

(١) نهج البلاغة ص١٧٢ – ١٧٣.

الشرعي على القتلة منهم. لقد تمسَّك أمير المؤمنين بموقفه هذا، وتمسّك مخالفوه بموقفهم ذاك، فوقع ما وقع بين الفريقين من دماء، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولابد لنا أن نكرر هنا أن معاوية لم يقاتل علياً على الخلافة، ولم ينكر إمامته. وهكذا تولى سيدنا علي إمرة المؤمنين، والأمة مثخنة بالجراح، مليئة بالمشكلات والمعضلات، فكان تولي الخلافة في تلك الأحوال امتحاناً عسيراً.

أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في رعيته وولاته

اهتمّ أمير المؤمنين علي بأمر رعيته منذ الأيام الأولى لتوليه الخلافة: فكان يتعب نفسه وينصب من أجل راحة الرعية وإقامة موازين العدل بينهم: فقد طلب من الولاة أن يرفقوا بالرعية، ويقوموا بقضاء حوائجهم، وألّا يحتجبوا عنهم، وأن يتخذوا لهم بطانة صدق ويبعدوا عنهم بطانة السوء، وكان يتقصى أخبارهم، ويقدّم لهم النصح.

ومن وصاياه لولاته:

(.. فانصفوا الناس من انفسكم، واصبروا لحوائجهم؛ فإنكم خُزّان الرعية، ووكلاء الأمة، وسفراء الأئمة، ولا تحشموا أحداً عن حاجته، ولا تحبسوه عن طلبه، ولا تبيعُن للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف ولا دابة يعتملون عليها، ولا عبداً، ولا تضربُنَّ أحداً سوطاً لمكان درهم)[1].

أما عدله في الرعية، فقد سارت بذكره الركبان كما يقال، وقد سمع او قرأ كثير من الناس مخاصمته يهودياً في درع، وأن قاضيه شريحاً قضى بالدرع لليهودي؛ لأن أمير المؤمنين علياً ليس لديه بينة؛ فكان هذا من أسباب انضواء اليهودي تحت لواء الإسلام.

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ١٧/ ١١، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، الطبعة الأولى ١٤١٨- ١٩٩٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

اما عن الحالة الإقتصادية فقد قام بتوزيع ما كان يرده من مال. وقد أعطى في سنة واحدة الناس ثلاث مرات. ولما امتلأ بيت المال بالذهب والفضة، قام بتوزيع ذلك على الناس وهو يقول: (يا صفراء ويا بيضاء، غرّي غيري، ها، وها، حتى ما بقي منه دينار ولا درهم)[1]. وعند ذاك قام بنضحه وصلى فيه ركعتين.

وقد ضرب في التواضع من الصور أعلاها: فكان – وهو أمير المؤمنين – يشتري ما يحتاجه من السوق بنفسه، ويحمله على عاتقه، ويلبس قميصاً ثمنه ثلاثة دراهم، وقد قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر، او أكون أسوة لهم في خشونة العيش، فما خُلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همّها علفها، والمرسلة شغلها تقممها)[2].

علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والخلفاء الثلاثة

اقتدى أمير المؤمنين علي بالنبي ﷺ في مكارم الأخلاق، وطبّقها في كل مجال من مجالات حياته: فكان يحب كل واحد من الخلفاء الراشدين الذين سبقوه في الخلافة، ويعترف بفضلهم، ويقدم نصحه لهم.. وما كان في الملمات ليتركهم، بل كان يقف معهم ويفديهم بنفسه وولده، وكان يبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم. وقد مرّ بنا موقفه من الفتنة التي قُتِل فيها أمير المؤمنين عثمان ودفاعه عنه.

أما موقفه من أبي بكر وعمر فيكفينا أن نذكر ما رواه سويد بن غفلة: قال (مررت بنفر من الشيعة يتناولون أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وينتقصونهما، فدخلت على علي بن أبي طالب

(١) حلية الأولياء ١/ ٨١.

(٢) التذكرة الحمدونية لابن حمدون محمد بن الحسن ١/ ٩٩، تحقيق/ احسان عباس، وبكر عباس، الطبعة الأولى ١٩٩٦، دار صادر، بيروت.

فقلت: يا أمير المؤمنين، مررت بنفر من أصحابك يذكرون أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بغير الذي هما له أهل، ولولا أنهم يرون انك تضمر لهم على مثل ما أعلنوا ما اجترأوا على ذلك.!

قال علي: اعوذ بالله، اعوذ بالله ان أضمر لهما إلا الذي أئتمنني النبي عليه، لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل! أخوا رسول الله وصاحباه، ووزيراه، رحمة الله عليهما.! ثم نهض دامع العينين يبكي، قابضاً على يدي حتى دخل المسجد، فصعد المنبر وجلس عليه متمكناً قابضاً على لحيته وهو ينظر فيها وهي بيضاء، حتى اجتمع الناس، ثم قام فتشهّد بخطبة موجزة بليغة ثم قال: [ما بال اقوام يذكرون سيدي قريش وأبوي المسلمين بما انا عنه متنزه، ومما قالوه برئ، وعلى ما قالوا معاقب؟! أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لا يحبهما إلا مؤمن تقي، ولا يبغضهما إلا فاجر شقي، صحبا رسول الله ﷺ على الصدق والوفاء، يامران وينهيان، ويغضبان ويعاقبان فما يتجاوزان ما يصنعان رأي رسول الله ﷺ، ولا كان رسول الله ﷺ يرى غير رأيهما، ولا يحب كحبهما أحداً، مضى رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنهما، ومضيا والمؤمنون عنهما راضون، أمّره رسول الله ﷺ على صلاة المؤمنين، فصلى بهم تسعة أيام في حياة رسول الله ﷺ، ثم قبض الله نبيه، واختار له ما عنده، ولّاه المؤمنون ذلك، وفوّضوا اليه الزكاة، ثم أعطوه البيعة طائعين غير مكرهين، وانا أوّل من سنّ له ذلك من بني عبد المطلب وهو لذلك كاره يود لو أن منّا أحداً كفاه ذلك، وكان والله خير مَنْ أبقى ارحمه رحمة وارأفه رأفة، وأسنه ورعاً واقدمه سناً وإسلاماً، شبهه رسول الله ﷺ بميكائيل رأفة ورحمة، وبإبراهيم عفواً ووقاراً، فسار بسيرة رسول الله ﷺ، حتى مضى على ذلك، رحمة الله عليه.! ثم ولي الأمر بعده عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكنت فيمن رضي،فأقام الأمر على منهاج رسول الله ﷺ وصاحبه، يتبع أثرهما كما يتبع الفصيل أثر أمه، وكان – والله – رفيقاً رحيماً بالضعفاء، ناصراً للمظلومين على الظالمين، لا يأخذه في الله لومة لائم، وضرب الله الحق على لسانه، وجعل الصدق من شأنه، حتى أن كنا لنظن أن ملكاً ينطق على لسانه.! أعز الله بإسلامه الإسلام، وجعل هجرته للدين قواماً، وألقي له في قلوب المنافقين الرهبة، وفي

قلوب المؤمنين المحبة، شبهه رسول الله ﷺ بجبريل، فظاً غليظاً على الأعداء، فمن لكم بمثلهما رحمة الله عليهما، ورزقنا المضي في سبيلهما.! فمن أحبني فليحبهما، ومنْ لم يحبهما فقد أبغضني وأنا منه برئ، ولو كنت تقدمت اليكم في أمرهما لعاقبت في هذا أشد العقوبة، ألا فمن أوتيت به يقول بعد هذا اليوم، فإن عليه ما على المفتري، ألا وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[1]، ثم الله أعلم بالخير أين هو، أقول قولي وأستغفر الله لي ولكم[2]].

سادة آل البيت والخلفاء الثلاثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

من المفيد ونحن نتحدث عن أمير المؤمنين عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن نقف وقفة قصيرة مع سادة آل البيت؛ لنتعرف على موقفهم من الخلفاء الراشدين الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمان.

لقد عرف سادة آل البيت فضل الخلفاء الراشدين الثلاثة، فكانوا يكثرون من مدحهم والثناء عليهم، ويصرحون بهذا في كل مكان.

ولا عجب، فقد كانت الشهامة والشجاعة سمةً من سماتهم، ورثوها عن أسد الله الغالب: علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وزخرت مصادر تاريخنا بالكثير من مدح سادة آل البيت للخلفاء الثلاثة، وها نحن نتحدث في طرف منها:

أ – الإمام محمد الباقر:

هو ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ،تابعي جليل، وكان من

(١) قول أمير المؤمنين علي: (خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر) روي من ثمانين وجهاً، ورواه البخاري وغيره.

(٢) تلبيس ابليس لابن الجوزي ص١١٣ – ١١٤، تحقيق: خالد بن محمد بن عثمان، الطبعة الأولى ١٤٢٢ – ٢٠٠١، مكتبة الصفا، القاهرة.

فقهاء المدينة، وأحد أعلام ألامة الإسلامية علماً وعملاً.

وسمي الباقر لاستنباطه الأحكام من أدلتها، وكان خاشعاً لله كثير البكاء، قال عنه ابن سعد: (كان ثقة كثير الحديث)[1]، روى عن أبيه وجديه الحسن والحسين، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمر وغيرهم، وتوفي سنة ١١٤هـ.

كان الباقر كثير الحب لصحابة رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعاً، وبخاصة حبه لأبي بكر وعمر: فكان يبرأ الى الله من كل من يبرأ منهما، وهناك روايات كثيرة عنه تنصّ على ذلك، منها:

١ – ما روي عن عروة بن عبد الله قال: سألت ابا جعفر محمد بن علي عن حلية السيوف فقال: لا بأس به، قد حلى أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سيفه، قال: قلت: وتقول: الصديق؟! قال: فوثب وثبة، واستقبل القبلة، ثم قال: نعم الصديق، نعم الصديق، نعم الصديق، فمن لم يقل له الصديق، فلا صدّق الله له قولاً في الدنيا والآخرة.[2]

٢ – عن محمد بن اسحق عن أبي جعفر محمد بن علي قال: (منْ لم يعرف فضل أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقد جهل السنة)[3].

٣ – روى شعبة الخياط مولى جابر الجعفي قال: قال لي ابو جعفر محمد بن عليّ لمّا ودعته: أبلغ أهل الكوفة أني برئ ممن تبرّأ من أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأرضاهما[4].

٤ – عن عمرو بن شمر عن جابر قال: (قال لي محمد بن علي: يا جابر، بلغني أن قوماً بالعراق يزعمون انهم يحبوننا، ويتناولون ابا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ويزعمون اني أمرتهم بذلك؛ فأبلغهم أني الى الله منهم برئ. والذي نفس محمد بيده، لو وليت لتقربت الى الله تعالى

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٨.

(٢) صفة الصفوة لابن الجوزي ٢/ ١٠٩– ١١٠، تحقيق: محمود فاخوري ود. محمد رواس قلعجي، الطبعة الثانية ١٣٩٩– ١٩٧٩، دار المعرفة، بيروت.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم ٣/ ١٨٥.

(٤) حلية الأولياء ٣/ ١٨٥، وصفة الصفوة ٢/ ١٨٥.

بدمائهم، لا نالتني شفاعة محمد إن لم أكن استغفر لهما وأترحم عليهما..[1]).

ب – جعفر الصادق:

هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، تابعي جليل، وعالم من أعلام الأمة الإسلامية: علماً وعقلاً وشرفاً،وكان من الثقات، وقد عُرف عنه الزهد والورع والسخاء، حتى كان يبذل ما عنده، ولا يبقي لعياله شيئاً. وسمّي الصادق؛ لأنه لم يعرف عنه الكذب، وكان يغضب على كل من يتعرض لجده أبي بكر، وهو القائل: ولدني أبو بكر مرتين؛ لأن أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وأمها هي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، مات في شهر شوال سنة ١٤٨هـ، وهذا شي من أقواله في أبي بكر وعمر رضي الله عنهم جميعاً.

١ – عن زهير بن معاوية قال: قال أبي لجعفر بن محمد: أن لي جاراً يزعم أنك تبرأ من أبي بكر وعمر، فقال جعفر: (برئ الله من جارك! والله إني لأرجو أن ينفعني الله بقرابتي من أبي بكر..[2]).

٢ – وعن سالم بن أبي حفصة قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي، وجعفر بن محمد عن أبي بكر وعمر فقالا لي: يا سالم تولّاهما، وابرأ من عدوهما؛ فإنهما كانا إمامي هدى. قال: وقال لي جعفر بن محمد: (يا سالم، أيسب الرجل جدّه؟! أبو بكر جدي، لا نالتني شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما، وأبرأ من عدوهما)[3].

٣ – وعن سالم قال: دخلت على جعفر بن محمد أعوده وهو مريض، فقال: (اللهم إني أحب أبا بكر وعمر واتولاهما، اللهم إن كان في نفسي غير هذا، فلا نالتني شفاعة محمد ﷺ

(١) حلية الأولياء ٣/ ١٨٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ٥/ ١٤٩، وتهذيب الكمال للمزي ٥/ ٨٠.

(٣) سير أعلام النبلاء ٥/ ١٤٩، وتهذيب الكمال ٥/ ٨٠.

يوم القيامة[1]).

٤ – وقال حفص بن غياث: سمعت جعفر بن محمد يقول: (ما أرجو من شفاعة عليّ شيئاً إلاّ وأنا أرجو من شفاعة أبي بكر مثله، لقد ولدني مرّتين)[2].

٥ – وعن حنان بن سدير قال: سمعت جعفر بن محمد وسئل عن أبي بكر وعمر فقال: إنك تسألني عن رجلين قد أكلا من ثمار الجنة[3].

٦ – روى الكليني عن أبي بصير قال: (كنت جالساً عند أبي عبد الله؛ إذ دخلت علينا أم خالد تستأذن عليه (أي على أبي عبد الله)، فقال ابو عبد الله: أيسرك أن تسمع كلامها؟ قال: قلت: نعم؛ فأذن لها. قال: فأجلسني معه على الطنفسة، قال: ثم دخلت فتكلمت، فإذا امرأة بليغة، فسألته عنهما – أي عن أبي بكر وعمر – فقال لها: توليهما. قالت: فأقول لربي إذا لقيته إنك أمرتني بولايتهما؟ قال: نعم)[4].

ج – علي بن الحسين:

هو زين العابدين علي بن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عُرف بكثرة العبادة؛ فلقّب بالسجّاد من أجل ذلك. وكان إذا توضّأ خاف واصفرّ لونه، وكان يرتعد فرقاً إذا قام الى الصلاة، وكان يقول إذا أساء اليه أحد: إن كنتُ كما قلتَ فأسأل الله أن يغفر لي، وإن لم أكن كما قلت، فأسأل الله أن يغفر لك. وفيما يأتي عقيدته في أبي بكر وعمر وعثمان:

١ – سأله سائل عن أبي بكر وعمر فأجاب السائل: (عن الصدّيق تسأل؟ قال: وتسميه الصدّيق؟! فقال: ثكلتك أمك! قد سمّاه صدّيقاً من هو خير مني رسول الله ﷺ والمهاجرون

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٠٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ٥/ ١٤٧، وتهذيب الكمال ٥/ ٨٠.

(٣) سير أعلام النبلاء ٥/ ١٥٠، وتهذيب الكمال ٥/ ٨٣.

(٤) كتاب الروضة للكليني ص٢٩، طبعة الهند.

والأنصار، فمن لم يسمه صديقاً فلا صدّق الله قوله؛ إذهب فأحب أبا بكر وعمر وتولهما، فما كان من أمر ففي عنقي)[1].

٢ - أتى علي بن الحسين نفر من أهل العراق فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فلما فرغوا قال: ألا تخبروني: أنتم المهاجرون الأولون ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ؟﴾ قالوا: لا. قال: فأنتم ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ؟﴾ قالوا: لا، قال: أما أنتم، فقد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين، ثم قال، أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الحشر: ١٠، أخرجوا فعل الله بكم[2].

د - عبد الله بن الحسين:

قال ابو خالد الأحمر: سألت عبد الله بن الحسين عن أبي بكر وعمر، فقال: صلى الله عليهما، ولا صلى على من لم يصل عليهما. وقال: ما أرى رجلاً يسب أبا بكر وعمر ثم تيسرت له توبة ابداً. وذكر يوم قُتِل عثمان فبكى حتى بل لحيته وثوبه[3].

وهكذا يتبين لنا من هذه الأخبار وغيرها: أن آل البيت رضي الله عنهم كانوا من أكثر الناس محبة لأبي بكر وعمر. ويعجبني ما أنشده مهدي بن سابق فقال:

اني رضيتُ علياً قدوةً علماً

كما رضيت عتيقاً صاحب الغار

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة وأهل البيت ١/ ٢٥٧.

(٢) صفة الصفوة ٢/ ٩٧- ٩٨.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٥٤/ ٢٨٦.

وقد رضيت أبا حفص وشيعته

وما رضيت بقتل الشيخ في الدار

كل الصحابة عندي قدوة علم

فهل عليّ بهذا القول من عار

إن كنت تعلم أني لا أحبهُم

إلا لوجهك، اعتقني من النار[1].

إستشهاد أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

خرج أمير المؤمنين سيدنا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأداء صلاة الصبح يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان سنة اربعين من الهجرة فجعل ينادي: أيها الناس، الصلاة الصلاة، فطعنه عبد الرحمن بن ملجم، وفاضت روحه الى بارئها يوم الأحد لتسع عشرة ليلة خلت من رمضان. وغسّله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، وصلى عليه ابنه الحسن، ودُفن في دار الإمارة بالكوفة. ويوم استشهد كان عمره ثلاثاً وستين سنة وهو عمر النبي ﷺ، وكانت مدة خلافته أربع سنوات وتسعة أشهر وثلاثة أيام، مات علي وهو أمير المؤمنين ولم يترك ديناراً واحداً إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه أراد أن يشتري بها خادماً[2].

(١) كتاب الشريعة لمحمد بن الحسين بن عبد الله الآجري ص٩٥٨، رقم ٢٠٣٧، الطبعة الثانية ١٤٢٥-٢٠٠٤، جمعية إحياء التراث الإسلامي.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة ٦/ ٣٧٣، رقم ٣٢٠٩٦ ضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين، الطبعة الثانية ١٤٢٦- ٢٠٠٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

ورثاه أبو الأسود الدؤلي التابعي الجليل فقال:

ألا يا عين ويحك أسعدينا
ألا تبكي أمير المؤمنينا
ألا قل للخوارج حيث كانوا
فلا قرّت عيون الحاسدينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا
بخير الناس طرّاً أجمعينا؟!
قتلتم خير من ركب المطايا
وذلّلها ومن ركب السفينا
وكل مناقب الخيرات فيه
وحب رسول رب العالمينا
لقد علمت قريش حيث كانت
بأنك خيرهم حسباً ودينا
إذا استقبلت وجه ابي حسين
رأيت البدر فوق الناظرينا

قُتل أمير المؤمنين بعد ان روى ستة وثمانين حديثاً وخمسمائة، منها في الصحيحين اربعة وأربعون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على عشرين حديثاً منها، وانفرد البخاري بتسعة أحاديث، ومسلم بخمسة عشر[1]. اللهم اجمعنا بأمير المؤمنين علي في جنات النعيم.!

(١) أعلام الحديث والمحدثين تأليف عبد الستار الشيخ ١/ ٢٥٣.

صفة سيدنا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وصف ضرار بن ضمرة سيدنا علياً وصفاً هو القمة في الروعة، بيّن فيه ما كان عليه من منزلة علمية رفيعة، وقيام لليل وزهد في الدنيا...

فعن ابي صالح قال: قال معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لضرار بن ضمرة: صفْ لي علياً، قال: أوتعفيني؟ قال: بل صفه! قال: أوتعفيني؟ قال: لا أعفيك. قال: أما إذن فأنه – والله– كان بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وينطق بالحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته كان – والله– غزير الدمعة، طويل الفكرة، يقلّب كفه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشُب[1]، كان – والله – كأحدنا: يجيبنا إذا سألناه، ويبتدئنا إذا أتيناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن – والله – مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة، ولا نبتدئه لعظمه. فإن تبسَّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد بالله! لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سجوفه[2]، وغارت نجومه، وقد مثل في محرابه قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم[3]، ويبكي بكاء الحزين، وكأني أسمعه وهو يقول: يا دنيا! أبِي تعرضّت أم لي تشوّفت! هيهات هيهات! غرِّي غيري! قد بتتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك! فعمرك قصير وعيشك حقير، وخطرك كبير! آه من قلة الزاد وبعد السفر، ووحشة الطريق.!.

قال فذرفت دموع معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى خرّتْ على لحيته فما يملكها وهو ينشفها بكمّه،

(١) جشب: غلظ.

(٢) سجوفه: ستره.

(٣) اللديغ او الجريح المشرف على الموت، سمّوه به تفاؤلًا بالسلامة.

وقد اختنق القوم بالبكاء، ثم قال معاوية: رحم الله ابا الحسن! كان - والله - كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن مَنْ ذُبح ولدها في حجرها فلا ترقأ[1] عبرتها، ولا يسكن حزنها[2].

ادعو الله أن يجمعنا بسيدنا علي في الفردوس الأعلى.!

(١) رقأ الدمع: جف وانقطع.

(٢) مختارات من ادب العرب لأبي الحسن علي الحسني الندوي ص١٩- ٢٠، نقلًا عن كتاب صفة الصفوة لابن الجوزي ١/ ١٩٦، دار الكتب العلمية، بيروت.

وأخيراً ..

إن من ينظر في أحوال العالمين العربي والإسلامي اليوم، يهوله ما يراه من تشتت المسلمين وتفرقهم وضعفهم وهوانهم على المجتمعات، حتى طمع فيهم شرّ خلق الله، فاحتل بلادهم، واستباح ديارهم، وقتّل شبابهم وشيوخهم، ورَمَّل نساءهم، ويتم اطفالهم..! ويجيل المسلم الغيور الطرف في تاريخ الخلفاء الراشدين، فيرى العظمة في صورة من أجمل صورها: يرى محبة الصحابة بعضهم بعضاً، يرى التضحية بكل غالٍ ونفيس من اجل هذا الدين، يرى الجهاد في سبيل الله، يرى الفتوحات الإسلامية وشهامة الخلفاء فيها، يرى العدالة التي سادت في المجتمع الإسلامي فلا ظالم ولا مظلوم، يرى الزهد بزهرة الحياة الدنيا، يرى الأثر الكبير في تربية النبي ﷺ لصحابته الكرام... فيمتلئ غبطةً وسروراً، ويباهي الدنيا بتلك المفاخر التي عجزت الدنيا أن تاتي بعشر معشارها.

لذلك صار لزاماً علينا – وبخاصة في عصرنا هذا – أن نبث الوعي في ناشئتنا ليعتزوا بتاريخنا المشرق – وبخاصة تاريخ الخلفاء الراشدين – لعلّ جيلنا والأجيال القادمة تقتدي بما كان عليه خلفاء المسلمين وأمراؤهم، وسلف هذه الأمة من سيرة تتعطر الدنيا بذكرها. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

المحتوى

الموضوع ..... **الصفحة**
الإهداء ٥
مقدمة ..... ٧ - ١٠

❑ **خليفة رسول الله ابو بكر الصديق** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ..... ١١ - ٤٧

أول الصحابة إسلاماً - من فضائل أبي بكر الصديق - تواضعه - شجاعته - بين أبي بكر وولده عبد الرحمن - صحبة أبي بكر للنبي في هجرته - كيف توجهت الخلافة لأبي بكر - البيعة الخاصة والبيعة العامة - بيعة علي لأبي بكر - شبهة عدم مبايعة سعد بن عبادة - خلافة ابي بكر الصديق - بين الإستخلاف وعدمه - أعمال عظيمة في وقت قصير - إنفاذ جيش أسامة بن زيد - قضاء أبي بكر على المرتدين - جمع القرآن الكريم - الفتوحات الإسلامية - إنصاف الرعية من نفسه - التأمين الإجتماعي ضد الشيخوخة والمرض والفقر - ابو بكر يحسّ بدنو أجله ويستخلف - الإستخلاف ترشيح فقط - ابو بكر على فراش الموت - رثاء علي لأبي بكر.

❑ **أمير المؤمنين عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ..... ٤٩ - ٨٦

أمير المؤمنين عمر - فضائله - إيمان عمر - تواضعه - إختياره الولاة - محافظته على مال الأمة - حق الناس في بيت المال - التأمين الإجتماعي لأهل الكتاب - الفتوحات في خلافة عمر - من وصايا أمير المؤمنين عمر لقوّاده - أمير المؤمنين عمر في عام الرمادة - أولياته - من عدالة عمر بن الخطاب - تفقده أحوال الرعية - عمر بن الخطاب وحرية

الرأي – ضوابط لحرية الرأي – العلاقة بين عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب – عمر وآل البيت – استشهاده.

❑ **أمير المؤمنين عثمان بن عفان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ..... ٨٧ – ١١٩

أمير المؤمنين عثمان – من فضائل عثمان بن عفان – أخلاقه وعبادته – عثمان والقرآن – كيف نُصِّب عثمان خليفة – إجماع الصحابة على خلافة عثمان – أول خطبة لأمير المؤمنين عثمان – مأثرة عظيمة – خلافة عثمان الراشدة – العلاقة بين عثمان وعلي – الفتنة – عبد الله بن عمر يرد على الشبهات حول عثمان – الروايات الواردة في الفتنة – مجتمع الخليفتين ليس كمجتمع عثمان – وبلغت الفتنة ذروتها – عثمان والبغاة – هل كان عثمان ضعيفاً في إدارة الخلافة – الحكمة في موقف أمير المؤمنين عثمان – كيف قُتل عثمان – لم يشترك أحد من الصحابة في قتله – حزن الصحابة على عثمان – عثمان الإمام الحق.

❑ **أمير المؤمنين علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .....١٢١ – ١٤٩

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – من فضائل علي بن أبي طالب – محبة الصحابة لأمير المؤمنين علي – زهده – عدله – شجاعته – خطبة لأمير المؤمنين علي في الجهاد – أمير المؤمنين في الشعر – كيف صارت الخلافة لسيدنا علي – أمير المؤمنين علي في خلافته وولاته – علي والخلفاء الثلاثة – سادة آل البيت والخلفاء الثلاثة – أ- محمد الباقر ب- جعفر الصادق ج- علي بن الحسين د- عبد الله بن الحسين – استشهاد أمير المؤمنين علي – صفة سيدنا علي ابن أبي طالب – وأخيراً.